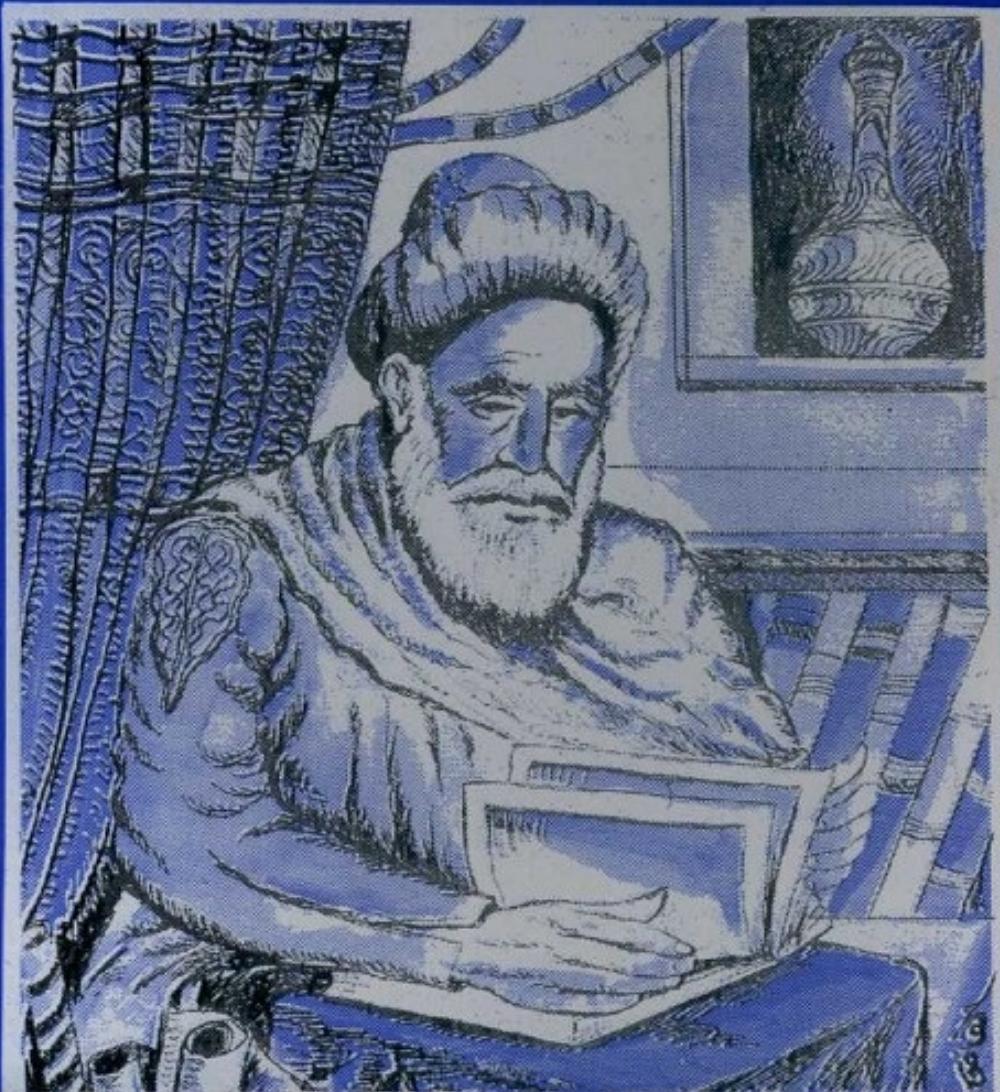


دكتور محمد عبد المنعم فضاحى

# أبو الفتح الأسكندرى

بطل مقامات بديع الزمان

وشخصيته المجهولة



مشتري

---

WWW.BOOKS4ALL.NET

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي

# أبو لفتح الإسكندرى

بطل مقامات بديع الزمان  
وشخصيته المجهولة

الطبعة الأولى  
١٤١٦ - ١٩٩٦ م هـ

مكتبة الأنجلو المصرية  
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة



أبو الفتح الاسكندرى



بسم الله الرحمن الرحيم

### تصدير

أبو الفتح الاسكندرى كما يعرفه علماء الأدب هو البطل فى  
مقامات بديع الزمان الهمذانى .

وهو يقوم بالدور الرئيسي فى الأعمال المأسانية التى احترفها ،  
ونجاد تمثيلها ، انه هو بطل الرواية وصانعها ، أما الذى روى عنه  
كل ما قام به من بطولات مصنوعة فهو الحارث بن هشام .

وأغلب الظن عند شتى الدارسين أنهما شخصيتان أسطوريتان ،  
ليس لهما نصيب من الواقع التاريخى .

وهذه القضية مرت عبر الأجيال دون دراسة أو تحقیق ، ومرت  
بها الأدباء والباحثون المعاصرون كذلك ، دون جديد ، ودون رأى  
قاطع فيها ؟ وان كان أحد الباحثين المعاصرين قد فارق الوصول  
إلى حلها والحكم فيها ، لكنه ترك الباب مفتوحاً ، وبى آراؤه على  
الظن والاحتمال . . ومن عجب أن يكون ذلك بعد صدور كتابى  
« أبو دلف عجرى من ينبع » مما يرجح أنه اطلع عليه ، وقرأ  
ما دونته فيه .

وفي هذا الكتاب درست هذه القضية من مختلف وجوهها ،  
وابدلت الرأى الحاسم فيها ، وهو ما اعتز به ، وأعتبره الحل الأول  
والأخير في هذه المشكلة التي استعصى على الأجيال حلها .

وبالله التوفيق . .

المؤلف

**البُرْبَرُ الْأَوَّلُ**

فن المقامة



# النصل الأول

فن المقامة في أدبنا



يقول الشريشى فى شرحه لمقامات الحريري<sup>(١)</sup> : « المقامات المجالس ، واحدتها مقامة ، والحديث يجمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا ، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى ، قال الأعلم : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحضر على فعل الخير ، والبديع نفسه يبين ذلك بقوله فى المقامات الوعظية : « قال عيسى بن هشام : فقلت لبعض الحاضرين : من هذا ؟ فقال : شخص قد طرأ لا أعرفه ، فأصبر عليه إلى آخر مقامته » لعله يتبين عن غلامته » فالمقامات جمع مقامة ، وهى : كالمقام ، اسم مكان من قام بالمكان بمعنى أقام فيه ، وعلى هذا المعنى قول المسيب بن عيسى :

وكالماءك ترب مقاماتهم وترب قبورهم أطيب

ثم توسع فى استعمال اللفظ ، فانتقل إلى الدلالة على الجماعة القيمة بالمكان ، وبهذا المعنى جاءت فى قول زهير بن أبي سلمى :

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القسون والفعل

ثم انتقل مرة أخرى ليدل على الكلام الذى يلقى فى مجلس من المجالس ، كما استعملت كلمة مجلس فى هذا المعنى أيضا ، ويسى بها الشريف المرتضى دروسه التى كان يلقىها على تلاميذه ، ودونها فى أماليه ، فصوصاً سمى كل واحد منها مجلساً على هذا الاستعمال الأخير ، وعقد ابن قتيبة فى كتابه « عيون الأخبار » فصلاً لكلام الزهد بين أيدي الملوك ، وجعل عنوانه : « مقامات الزهد عند احفاء الملوك » ، وقال الجاحظ فى كتابه « البخلاء » فيما قال : وينذرون من الشعر الشاهد ، والمثل ، ومن الخبر الأيام والمقامات .

---

(١) راجع كتابى الحياة الأدبية فى العصر العباسى الثانى - ١٩٥٦ .

هذا هو معنى المقامات اللغوى ، أما معناها الفنى فهو هذا الفن البليغ البديع المنمق ، الذى صيغ فى أسلوب قصصى لطيف ، ويتمثل قصة وقعت لشخص أو اشخاص ، يتخيّلهم الكاتب ، ويوضع على سنتهم حوارا يجتهد فيه فى التحسين والتزيين واللوشى ، ويلتزم فيه السجع أو يكثر منه ، ويودعه ما أراد له ذوقه من طرائف ووصف للأخلاق وروائع وملح وبدائع ، ونقد للأشخاص والمجتمع ، والبلاد والناس ..

ولقد كان من أثر اتصال كتاب العربية بالأداب القديمة ، وتنقلهم في أفغانستان وخراسان وبلاد فارس ، أن اتصلوا بالحياة الاجتماعية ، وخلطوا العامة من الناس ، وسمعوا شيئا من أقاوصيهم وأحاديثهم ، وعرفوا بعض الأشخاص الذين يتحدث الناس باوصافهم وأخلاقهم ، وكان بعض هؤلاء الكتاب يجيدون اللغة الفارسية ، وربما كانوا يعجبون بها ويساللبيها ، فأخذوا في محاكاة بعض تلك الأحوال والكتابة على نمطها باللغة العربية ، وقد كان لأثر الحياة الفارسية قبل هذا العصر دخل في لغة العرب ، بما كتبه ابن المفع وسهل بن هارون وغيرهما ، ظهر أثر ذلك في الكتابة التئيرية ، فلما ذُكر هذا العصر ظهر أسلوب المقامات المحتوى على قصص قصيرة ، يصف فيها الكاتب أحد الناس وأخلاقه ، ويدرك بها بعض الحوادث والأماكن بأسلوب مسجع ظريف . وكان النثر إلى هذا العصر مقصورا على الرسائل وكتابة الدواوين والفصول الأدبية ، ولم يكن الأسلوب القصصي قد تسرّب بعد إلى الكتابة العربية ، فلما كتب بديع الزمان مقاماته ، كانت تلك المقامات نوعا جديدا في أساليب النثر العربي ، وسار على أسلوب الهمذاني من جاء بعده من الكتاب أصحاب المقامات كالحريري وغيره .

و واضح من المقامات المروية عن «البديع والحريري أن الكدية (الشحادة) ) أهم أغراضها ، ومن ثم قيل عن المقامات إنها تطلق على ما يقصه أهل الكدية والشحاذون من الأدباء بلغة عربية فصيحة تعدد في أسلوبها من نماذج النثر الفنى الرفيع في الأدب العربي ..

وقد نسب الحريري في مقدمة مقاماته فضل ابتداع المقامتات إلى بديع الزمان وعلامة همدان ، ومن كتاب المقامتات بعده : ابن نباته السعدي ، أبو الهيجاء الأصفهاني ، ابن الجوزي ، ابن الوردي ، الشيخ العطار ، أحمد فارس الشدابق ، اليازجي ، عبد الله عكري ، والموياحي وفسييرهم .

- ٢ -

والمقامتات صورة للقصة القصيرة ونموذج لها ، ففيها من القصة القصيرة العقدة وتحليل الشخصيات .. والمقامتات من أولى بنود النثر الفصحي في الأدب العربي لأنها ترمي إلى تصوير بعض الدفوس والشخصيات بطريق قصصي ولو لا انصراف الكتاب إلى الصناعة اللفظية لخطت المقامتات خطوات واسعة في سبيل النثر .. على أن أسلوب المقامتات انتشر بين الناس وذاع أمره لولوع الناس بالصدقية اللفظية ويشير أسلوب المقامتات إلى أن ظاهرة التقليد كانت طاغية، وأن كانت من ناحية الموضوع محولة لخلق القصة الفنية ، ومن ناحية الصياغة كانت تمثل هصر صاحبها وما عليه صورة الأدب من قوة أو ضعف .. وتعتمد القصة الناجحة أكثر ما تعتمد على العقدة والعرض وعنصر الحركة والمفاجأة والوقائع المثيرة ، والتفاصيل الدقيقة وتسجيل الواقع من الحياة الاجتماعية وهذه الأصول متوفرة في كثير من المقامتات التي تدخل في يد القصة من أوسع الأبواب .. وكان من الطبيعي أن توجد المقاومة في الأدب العربي فهي قصة تروي ، ومن طبيعة الإنسان أن يروي قصصه وقصص الآخرين .. وقد ساعد رقي النثر الفنى في القرن الرابع على كتابة القصة الفصيرة أو فن المقاومة بأسلوب رائع جذاب وإن كان البعض يقول أن المقامتات ربما كانت مقتبسة من أدب فارس ، ولكن البعض الآخر يؤكّد على أن الأدب الفارسي لم يعرف فن المقاومة قبل البداع .. ولا في عصره .. وإنما عرفت بعده بقenne من الزمان .. وأولى مقامتات كتبت بالفارسية كانت لقاضي حميد الدين البلخي .. ويقول بعض النقاد الفارسيين أن لفظ مقامة هو من اختراع بديع الزمان .. ويقول بعض المستشرقين أن أساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان قد أوجتها إلى بديع الزمان بفكرة المقامتات ، ويدرك آخرون

أن قصص جحا من الآداب الفارسية والتركية هي التي أوجت لبديع الزمان بالمقامات . وهذا الكلام كله يحتاج إلى دليل فالواقع أن الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية في المجتمع العربي هي التي أوجت إلى بديع الزمان بإنشاء القصة القصيرة وكتابتها .

والحوار في المقامة عنده يدور بين رجلين هما : عيسى بن هشام الرواية وأبوا الفتح الاسكندرى البطل .. كلها شخص خيالى كما يقول أن عيسى بن هشام الرواية كان شيخاً للبديع ، وموضوع المقامات يتناول نقد المجتمع الاسلامي في القرن الرابع وتصوير حياة المسلمين الاجتماعية والعقلية في هذا العهد ، ولعل « البديع » كان يقصد بمقاماته إلى كتابة نماذج أدبية رائعة يجتنبها الشبيب في دراستهم وحياتهم الأدبية والمقامات تعكس قدرة على الصياغة واختيار الألفاظ والتألق في الجمل والتعبير ، الفاظها مختاره عذبة يندر فيها الغريب وأسلوبها منمق يكثر فيه السجع والجنس والطبق وغير ذلك من ألوان البديع ، ويفصله ما يناسب المقام من قرآن أو حديث . ولكن يؤخذ عليها أن الجانب الفنى فيها لقصة غير متكامل فالحبكة القصصية ضعيفة والحوادث غير متسلسلة .

وقد أدى ظهور فن المقامات في الأدب العربي إلى غنائه في الألفاظ والأساليب والأخيلة والمعانى ، وأضافت المقامات إلى الأدب العربي فناً أدبياً جديداً لم يكن له وجود مي قبل هو فن القصة القصيرة ، وقدمت المقامات نماذج أدبية جميلة للأدباء ليحاكواها ويسيروا على منوالها مما يساعد على قوة الملكة والموهبة وقد أحبت المقامات كثيراً من مفردات اللغة وأساليبها ومن صور الأداء والتعبير فيها ، وكذلك فان كتب المقامات وشروحها والدراسات التي وضعها حولها .. كل ذلك كان ثروة للغة العربية وأدابها ، وقد أسهمت المقامات في بناء النهضة الأدبية الحديثة في مصر والعالم العربي . كما ظهر في أدبي جديد متاثر بفن المقامات وهو ضرب من الانشاء فيه تشابه مع المقامة وأن كان ليس منها اذ لا يعتمد خصائص القصة ولا جانبها الفنى وهو مقالات قصار تعتمد على الإيجاز وتقصد إلى

الوعظ الحكمة تقدم النصح والخبرة وثمرة التجربة الى القراء  
و لا تحتوى على الحوار او البطل .

وقد نمت المقاسات وازدهرت في بلاد خراسان وما وراء النهر ،  
تلك البلاد التي كانت قبل الفتح الإسلامي جزءاً من الإمبراطورية  
الفارسية ، فلما دخلها العرب وحكموها نشروا فيها دينهم ولغتهم  
و ثقافتهم ، فأذاجيت فحول العلماء والأدباء والشعراء . وقد اشتغلت  
خراسان في العهد الإسلامي على أربعة أقاليم عواصمها « نيسابور »  
و « هرو » و « هراة » و « بلخ » . وكانت هذه الأقاليم ناحية حكم  
أربعة من آل سامان ، وهم من الفرس الذين عرف المأمون فضلهم  
و بنיהם ، فعينهم عليها حكام ، وبعرفت هذه بالدولة السامانية .

وفي عهد الدولة السامانية ظهرت حركة أدبية قوية من شعر  
ونثر فني لعدد كبير من الأدباء يذكر التاريخ اسماءهم من شهرة الى  
بلادهم التي نشأوا بها ، فنقرأ أسماء « البلخي » و « الخوارزمي »  
و « الفارابي » و « الترمذى » و « البخاري » و « النيسابوري »  
و « الزمخشري » . وسواهم . وكانت بخارى مطلع نجوم الأدباء  
والشعراء والكتاب آنذاك ..

وقد صاح « بديع الزمان » وجال في كتابة المقامات ، وأملى  
أربعين ماقمة في الكدية ( الاستجداء ) ولم يعثر منها الا على ثلاثة  
وخمسين مقامة . وتواتى بعد « بديع » كتاب المقامات ومنهم ابن  
« نباته السعدي » ، و « أحمد بن فارس » ، و « السيوطي » ،  
و « الزمخشري » وغيرهم ، ولكن لم يشتهر منها سوى مقامات  
« الحريري » التي تعادل مقامات « بديع الزمان » في خفة الروح ،  
وجمال الأسلوب ، وطلاوة التعبير .

ويقول الشريشى شارح مقامات الحريري : « المقامات : المجالس  
واحدتها مقامة ، والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى  
مقامة ومجلسا ، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس » (١) .

(٢) شرح الشريشى لمقامات الحريري ص ١٠ ط بولاق .

وكان بديع الزمان الهمذانى أحد فحول المقامات الانسانية يعنى من كلمة « مقامة » معنى مجلس ، فقد جاء فى المقاومة الوعظية ، عن عيسى بن هشام ( وهو روى مقاماته ) : فقلت لبعض الحاضرين من هذا قال : غريب قد طرا لا أعرف شخصه ، فأصبر عليه الى آخر مقامته ، لعله ينبنى بعلمته .

والمقاومة بهذا المعنى تتواءم كل انواعها مع المعنى الأدبي الذى يرمى اليه الأدباء وهو الأسلوب الفحل والتعبير الجزل الذى ينتظم عقده الفاظاً غربية قوية ومعانى دقيقة فنية والموانا من السجع والمحسنات البديعية وروائع الشعر والحكم والآمثال يروى على لسان أمرىء خيالى .

- ٤ -

وقد ذكر أبو اسحق الخضرى صاحب زهر الأداب فى ترجمته بديع الزمان الهمذانى أن أول من وضع أساس المقامات هو ابن دريد قل « ولما رأى البديع أن أبا بكر محمد بن دريد الأزدى أغرب باربعين حديثا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنتجها من معادن فكره ، وأبدأها للأبصار والبصائر ، واهداها للأفكار والضمائر فى معارض أعمجية والفاظ حوشية ، فجاء أكثرهما مما تتبوا عن قوله الطباع ، ولا ترفع حجبها الاسماع ، وتوسع فيها إذ تصرف فى الفاظها ومعاً ما فى وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها باريعدية مقامة فى الكدية تذوب ظريفاً وتقطر حسناً ، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مثقلتها ، بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام ، والأخر أبا الفتح الاسكتندرى وجعلهما يتهديان الدر ويتنافسان البحر » (٣) .

وروى الدكتور زكي مبارك أن البديع عرض ابن دريد مقامات تدانى فى عددها مقامات ابن دريد إذ يقول « أن بديع الزمان عارضه

(٣) زهر الأداب ج ١ ص ٢٣٥ .

بمقامات أربعين انشأها ابن دريد ، والمعارضت كانت تتقاраб في الكمية «<sup>(٤)</sup>» ويفهم من قول العصرى « وأهداها للأفكار والضمائر في دعارض أعمجية » ان ابن دريد انشأ احاديثه في بيته فارسية . وأن البديع حين عارضه سمع احاديثه مقامات ، وصنف البديع المهزانى في هذا الفن أجمل وأروع ، والذين انشأوا بعد ذلك مقامات لم يصورو الا عن ورد المهزانى فتأثروا بطريقته واحتطبوا في حبله .

ويذكر جورج زيدان أن أباً التوليد أحمد بن فارس الرازى الأديب اللغوى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ صنع مقامات فيقول : « ولله التقدم في وضع المقامات ، لأنه كتب رسائل اقتبس منها العلماء صنعته وعليه اشتغل بديع الزمان المهزانى »<sup>(٥)</sup> بيد أن مقاماته خاعت كما ضاعت مقامات ابن دريد .

وضياع مقامات ابن دريد وابن فارس جعل أكثر المؤرخين يعدون البديع أباً عذرة المقامتين ومفترع بكلرتها ، ولقد شيد البديع صرح مقاماته على الكدية<sup>(٦)</sup> وأدار الحديث بين شخصين ، جعل أحدهما بطلاً وهو أبو الفتح الامكنى ، والأخر راوية وهو عيسى بن هشام ، وعدد مقاماته التي بين أيدينا خمسون مقامة اجاد فيها الحصلة ربطتها ومرتباتها ، ثم جاء بعد المهزانى ابن نباتة المسعدى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ فدبح مقامات لم يتح لها أن تبلغ شأن مقامات البديع ولم تحظ بشهرة أو اعجاب ، ثم وضع أبو القاسم البغدادى بعده مقامات لم تثبت أن ذهبت صرخة في وادٍ واخنى عليها الذى اخنى على ليد<sup>(٧)</sup> ، ثم جاد الزمن بأبي محمد القاسم ابن على الحريرى المترافقى سنة ٥١٦ هـ ففتحت اكمام بلاخته عن خمسين مقامة ، اعتمد في تشييد صرحها على ادبيين - على غرار المهزانى - أحدهما البطل والأخر الرواية أما البطل فليس خيالياً ، وإنما هو

(٤) النثر الفنى ج ١ ص ٢٠٦ .

(٥) تاريخ كتاب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٠٩ ط دار الهلال سنة ١٩١٢ .

(٦) الكدية : معناها التسول .

(٧) ويظن أن أبا القاسم البغدادى هو كنایة عن أبي حيان التوحيدى (ت ٤١٣ هـ ) فهو صاحب هذه المقامتين وصانعها .

شخصية لها ظل في واقع الحياة ، فقد اتفق أن قدم البصرة أعرابى فصيح يسمى أبا زيد السروجى فنحله الحريرى وفائز مقاماته ، ونسب إليه القيام بأدوارها ، وأما الرواوى فهو شخصية خيالية ممحضة<sup>(٨)</sup> ، ويسمى الحارث بن همام ويتنبأ بذلك نفسه ، وقد شاهت مقامات الحريرى وطبقت شهرتها الآفاق وحظيت بالقبول والوفاق وهزجت بها العصور وتغنت بها الدهور .

وجاء بعد الحريرى أدباء يbjgوا مقامات لم يتح لها الشهرة وكانت أدنى إلى المقالة منها إلى المقدمة مثل جبار الله الزمغشري المتوفى سنة ٥٣٧ هـ وسمى مقاماته «اطلاق الذهب» وهي حكم ومواعظ موجزة لا تمت إلى القصة بوشبيحة وليس لها بطل ولا راوية وقد هارض شرف الدين الأصفهانى سماها «اطلاق الذهب» .

وكان كتاب المقامات فى هذه الآونة يجذبون الصنعة البدوية ويتجلّى فى أدبهم طابعها ، وكانوا ينشئون المقامات للمفاسخة والتباهى بالتضليل فى اللغة والأدب والبراعة فى الغوص إلى أعماق اللغة واستخراج دورها ولآلئها ، والتحقيق فى الآفاق لاصطياد الشوارد والأوابد من الكلمات الغربية والعبارات الفحولة والأساليب الجزلة ، وجورجى زيدان يرى أن « المراد بالمقامات فى الأكثر التفنن فى صناعة الإنشاء » وذكر الحريرى أنه إنشاها استجابة لرغبة من اشراته حكم وطاعته غنم ، وتلا فيها تلو البديع الذى عزا إلى أبي الفتح الاسكندرية نشأتها ، وإلى عيسى بن هشام روایتها ، وكلاهما مجھول لا يعرف ونكرة لا تعرف<sup>(٩)</sup> ..

ولقد شيد البديع صرح مقاماته على الكدية وجاء مقامات الحريرى

---

(٨) تاريخ أداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٩) مقامات الحريرى من ٥ .

(٢ - أبو الفتح )

على هذا الغرار ، وكانت الكدية رائجة السوق في هذه الأونة ، ولعل السبب هو ظلم الحكام وطغيانهم وفساد النظام الاجتماعي في القرن الرابع والخامس .

وهكذا كانت المقامات مظهراً من مظاهر النشاط الأدبي الذي عيّن أرجه وتضوّع شذاؤه في القرن الرابع الهجري ، فان الكتاب تباروا بأفراس مضرمة في حلبة الكتابة واقتعدوا غارياً ومتحوّلاً من يتابعها التفوّية .

فتجلّى أثر ذلك في أدبهم بهذه المقامات التي جاءت عقداً خلاباً يزداد جيد بثباته ويخلب اللب والوجدان بما حفلت به من الكلمات اللغزية والفترات القوية والأشعار الشاغرة والأمثال المسائرة والحكم الرشيق والعظات الآنية . وتنوع خاص مقامات الحريري التي استرعت الانتظار واستلفت الأفكار ، وأشارت إليها عنق الظائمين إلى الأدب وعمق الغريب في لعة العرب واتخذوها ينبوعاً ثرّا للألفاظ الجزلة والعبارات الفحّلة التي حافظت على شروء اللغة وكانت موسوعة أدبية ينهي الظائمون إلى الأدب من يتابعها الثرة فينفعون الفلة ويشفون العلة .

وكانت المقامات ارهاصاً بتبلّج اصباح القصة العربية فأنها - في الواقع - لميست سوى قصص قصيرة أشبه بالقصص التي تسمى عند الفرنج الدراما ، وقد تقيّل طريفتها الأدباء ترفعهم نجاد التوفيق حيناً وتخفضهم وهاد الأخفاق حيناً آخر ، حتى كانت آخر المقاولات الموقفة على يد محمد المويلاхи حين أخرج لنا كتابه « الرائد » حديث عيسى بن هشام » في أسلوب قصصي طريف يطوف بمحراب السجع في كثير من التعبير ويجنح عن الواقعية في كل تصوير وجعله على لسان راوية اتخذ اسمه غنواناً للكتاب ، فجاء صورة جلية للمقامات ، وإن اختلف عنها ببعضه الأسلوب والزهد في الغريب .

ولعل من أروع المقامات التي حفل بها العصر الحديث مقامات ناصف البازجي التي اسمها « مجمع البحرين » ، والتي بلغت ستين مقامة أستهلها بالبدوية واختتمها بالقمة المقدسة وقدم لها فضال « انتى قد تطلقت على مقام اهمل الادب ، من ائمة العرب .. الى سهيل بن عباد ، وكلاهما » هي بن لي « مجهرة النسبة والبلاد ، وقد تحررت بتلقيك احاديث تقصر من شبه مقاماتهم على النقب وقبست وقائهما الى ميمون ابن خزام ان اجمع فيها ما اسطعت من الفوائد والقواعد والغرائب والشوارد والامثال ئالحكم والقصص التي يجري بها القلم وتسعى لها القدم الى غير ذلك من ثوابر التركيب ومحاسن الاساليب ، والاسماء التي لا يعثر عليها الا بعد جهد جهيد » .

ونحن اذا عرفنا ان القصة تعتمد على عنصر الحركة والمفاجئ والواقع المثير ، والتفاصيل الدقيقة وتسجيل صور من واقع الحياة الاجتماعية ، الفينا ان كثيرا من هذه السمات يتجلى في كثير من هذه المقامات .



## الفصل الثاني

### رائد فن المقامات

- ١ -

ينسب الحريري في مقدمة مقدماته فضل ابتداء المقامات الى  
بديع الزمان ، وعلامة همدان .

وكل ذلك الشعالي يجعل البديع أباً عذرتها وأصل نشاتها .

ولكن الحصرى صاحب « زهر الأدب » يقول : ولما رأى البديع  
ابا بكر بن دريد أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع  
صدره ، واستنتجها من معادن فكره ، وأهداها للأفكار والضمائر ،  
في معارض عجمية ، والفاظ حوشية ، هارضها بأربعمائة مقامة في  
الكدية تذوب ظرفاً ، وتقطر حسنها(١) . ويقول الدكتور زكي مبارك  
معلقاً على هذا الكلام : مؤدى ذلك أن بديع الزمان ليس مبتكر في  
المقامات ، وإنما حاكى فيها ابن دريد في أحاديثه ، ولكن لا ينفي  
ذلك أن البديع له فضل في نشاتها . وظاهر أن هذه الأحاديث هي  
ما دونه صاحب الأمالى في كتابه من أحاديث ومجالس لغوية يرويه  
عن ابن دريد ، ويذهب البعض إلى أن هذه الأحاديث المدونة في  
« الأمالى »(٢) مصبوغة منتحلة على ابن دريد ، والبعض الآخر  
يذهبون إلى أن ابن دريد قد اخترع هذه الأحاديث ونحلها لبعض  
الأعراب ليجعل منها صوراً غريبة تروى وتحكى وتحتذى رداً على

(١) ١ : ٢٣٥ زهر الأدب . راجع ثقائق الحياة الأدبية في العصر العباسى  
الثانى .

(٢) مثل حديث مصاد بن مذعور وما جرى له مع الجواري الطوارق  
بالحصن الذى يذكر بالمقامة الرصافية للبديع وما فيها من حيل اللصوص ، ومثل  
مقام بعض الأعراب بالمسجد مستجدياً ، مما يشبه مقامات عيسى بن  
هشام ، بالمساجد مكدياً .

الشعوبين وعلى الفرس الذين أخذوا يحِّسون لغتهم وأدب بلدهم القديم في عصر ابن دريد ، ولتكون هذه الأحاديث نهائج للتعليم(٣) . وينفي باحث أن تكون أحاديث ابن دريد ذات صلة بفن المقامات كما عرف عند البديع(٤) ، وكان ابن دريد كاتباً لآل ميكال ، وكانوا ولاة على فارس .

وذهب أحد الباحثين إلى أن أبي المظفر الأزدي هو صاحب « حكاية أبي القاسم البغدادي » وأنها هي الأصل الذي احتذاء البديع في مقاماته ، وأن الأزدي هو مبتكر فن المقامات(٥) ، وشخصية أبي القاسم البغدادي في حكايته هي شخصية أبي الفتح الاسكندري . وذلك مما يثبت لنا عدم صحته .

ويروى ابن فارس الإمام اللغوي المتوفى عام ٣٩٠ م مقامات ، ويقول فيه جورجى زيدان : « له فضل التقدم فى وضع المقامات ، لأنَّه كتب رسائل اقتبس منها العلماء نسقه ، وعليها اشتغل بديع الزمان . تلميذ ابن فارس » ويقول فيه ابن خلkan : لابن فارس رسائل أنيقة ومسائل في اللغة اقتبس منها الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية في المقامات الطبية .

ثم جاء بديع الزمان ، فرويت له خمسون مقامة ، والراجح أنه أنشأ أربعين مقامة ، على ما روى الثعلبي وبياقوت وابن خلkan ، ويؤكد ذلك البديع نفسه في رسالته إلى أبي المظفر ، حيث يقول : « ومن أملأ من مقامات الكدية أربعين مقامة لا مناسبة بين المقامتين

(٣) ص ١٣٧ دراسات في الأدب .

(٤) ص ٢٠٧ بديع الزمان للشكتة .

(٥) يبدو أن ذلك غير صحيح وأن صانع « حكاية أبي القاسم البغدادي هو أبو حيان التوحيدى .

لفظاً ومعنى ، حقيق الانهاج لكشف غيربه «(١)» ، والظاهر أن أكثر مقامات البديع قد ضاع ، ولم يبق إلا ما تضمنته مقدمة المطبوعة .

ومن كتاب مقامات بعد البديع : ابن نباته السعدي م ٤٠٥ هـ ، والحريري م ٥١٦ هـ ، وأبو الهيجاء الأصفهانى الذى ألف مقاماته عام ٥٤٩ هـ وتوفى فى القرن السادس ، وكذلك ابن الجوزى م ٥٩٧ هـ ، ثم ابن الوردى ، والشيخ العطار ، وأحمد فارس الشدياق ، وناصيف البازجى ، وعبد الله فكري ، وسوادهم .

والمقامات هي صورة للقصة القصيرة ، ونموذج لها ، وفيها من القصة القصيرة العقدة ، وتحليل الشخصيات (٢) .

وتحسب مقامات من أول بذور النثر القصصي في الأدب العربي لأنها ترمي إلى تصوير بعض النفوس والشخصيات بطريق قصصي ، ولو لا انصراف الكتاب إلى الصناعة اللفظية لخطت مقامات خطوات واسعة في سبيل النثر القصصي الذي يصور حياة النفوس والمجتمع . على أن أسلوب مقامات تمشي في الأدب العربي ، وذاع اثره في بلاد المشرق والمغرب ، لوع الناس بالصناعة اللفظية .

ويشير أسلوب مقامات - على اختلاف عصور أصحابها وأصارحهم - إلى أن ظاهرة التقليد كانت طاغية عليهم غالباً ، وأنها من ناحية الموضوع كانت محاولة كبيرة لخلق قصة فنية ، ومن ذاوية الصياغة كانت تمثل عصر صاحبها ، وما عليه صورة الأدب من قسوة أو ضعف ، وبذلك تراها كانت تنحدر بانحدار الأدب جيلاً أثراً جيل ، من استنساك في الأساليب ، إلى هلهمة وركاكتة جريأة وراء البديع ومرامة بعض زخارفه فوق بعض .

(١) ٢٢٧ رسائل البديع .

(٢) ٢٠٧ . ١ . النثر الفنى لزكى مبارك .

وتعتمد القصة الناجحة أكثر ما تعتمد على العقدة والعرض ، وغচر الحركة والمفاجأة والواقع المثير والتفاصيل الدقيقة ، وتسهل ألوان من الحياة الاجتماعية .. وهذه الأصول متوافرة في كثير من المقامات التي تدخل في باب القصة من أوسع الأبواب ، ومن أمثلة ذلك المقامة الموصلية ، والأسد وسواهـ(٨) .

- ٤ -

ولكن لماذا نشأ فن المقامة في الأدب العربي ؟

١ - انه لمن الطبيعي أن توجد المقامة في الأدب العربي فهي قصة قصيرة مسطّرة تروى ، ومحوار يؤثر ، ومن طبيعة الإنسان أن يقص قصصه وقصص الآخرين ، وقد ساعد رقى النثر الفنى في القرن الرابع على كتابة القصة القصيرة أو فن المقامة بأسلوب رائع جذاب مشرق ، ومن تمام التسويق اختيار البديع موضوع مقاماته فى الكدية، وقلده فى ذلك الحريرى وسواه ، والحريرى كذلك يقلد البديع فى فن المقامة اذ أنشأ خمسين مقامة على سط المروى للبديع (٩) .

٢ - وينذكر البعض أن المقامات مقتبسة من أصل فارسي ، ولكن الباحثين المنصفين من هرب وفرس ينفون أن تكون المقامات قد وجدت في الأدب الفارسي قبل البديع ، اذ لم تعرف المقامات في الأدب الفارسي قبله ولا في عصره ، وإنما عرفت بعده بقرن ونيف ، وأول مقامات كتبت بالفارسية هي للقاضي حميد الدين البلاخي الذي بدأ بانشائها عام ٥٥١ هـ ، وتوفي عام ٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م كما يقول براون ،

(٨) راجع ٢٧٩ وما بعدها - بديع الزمان للشكعة .

(٩) سبق أن قلنا ان البديع كتب اربعين مقامة ، ويرجح البعض انه لم يمل الا أربعين مقامة عارض بها احاديث «بن دريد الأربعين » وهذا خطأ ، ومقامات البديع المطبوعة خمسون في طبعة الشيخ محمد عبده ، واحدى وخمسون في طبعة الجواب ، وثلاث وخمسون في طبعة اخرى ، وقد أسقط الامام محمد عبده المقامات الرصافية لما اشتملت عليه من فحش ومجون .

ويؤكد محمد تقى بهار فى كتابه « تاريخ تطور النثر الفارسي » أن لفظ مقامة من اختراع البديع وأن كل اختراع فى الأدب العربى كان له صدى فى الفارسية ، وأن حميد الدين قلد البديع والحريرى فى مقاماته . وينظر الانورى اعجاب الفرس وافتخارهم بمقامات حميد الدين هذه (١٠) .

٣ - يذكر بعض المستشرقين أن أساطير التوراة عند اليهود ، وقصة لقمان ، قد أوحت إلى بديع الزمان بفكرة المقامات ، وكذلك يذكر آخرون أن قصص جحا في الأداب الفارسية والتركية والعربية من ملهمات البديع لفن المقامات .. وهذا استنتاج لا يؤيده الدليل ، فالواقع أن الظروف السياسية والاجتماعية والعلقانية ، والأدبية والفنية في المجتمع العربي أوحت إلى كاتب عربي هو البديع بإنشاء القصة الصغيرة وكتابتها .

#### سمات مقامات البديع :

١ - الحوار في المقامات عند البديع يدور بين رجلين هما : عيسى ابن هشام الرواية ، وأبو الفتح الاسكندرى البطل . وكلاهما شخص خيالى مجهول كما يقول الحريرى ، وينظر بعض الباحثين أن عيسى ابن هشام الرواية كان شيخاً للبديع ، ومنهم مؤلف « تاريخ همدان » أبو شجاع شيرويه م ٥٠٩ هـ ، وينقل ذلك عنه ياقوت في معجم الأدباء ، ولعل ذلك وهم نشأ من قول البديع في مطلع مقاماته : حدثنا عيسى بن هشام .

٢ - موضوع مقامات البديع هو الكدية ، ولكنها تتناول مسح ذلك نقد المجتمع الإسلامي في القرن الرابع ، وتصوير حياة المسلمين الاجتماعية ، والعلقانية في هذا العهد ، تصويراً رائعًا .

٣ - ولعل البديع كان يقصت بمقاماته الى كتابة نماذج أدبية في رائعة يحتذى بها الشباب في دراستهم وحياتهم الأدبية ، او لعله كان يدل بما له من قدرة على صياغة الأساليب ، واختيار الألفاظ ، والتألق في الجمل والتعبير . فالفاظتها مختاراة عذبة ، يندر فيها انغراب ، وأسلوبها منمق يكثُر فيه انسجام والجنس والطباقي ، وغيرها من الوان البديع ، ويضمنه بما يناسب المقام من : قرآن او حديث او حكمة او مثل او شعر . ولكن يؤخذ عليها أن الجانب الفنى فيها للقصة غير متكامل ، فالحربكة القصصية ضعيفة ، والحوادث غير متسلسلة ، والمحوار ينقصه التشويق ، والعقدة والمشكلة التي تنتهي بحلها القصة ضئيلة او مععدومة .

### مقامات الحريري :

١ - وقد أنشأ الحريري (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) خمسين مقامة وفق العدد الذي بقى لنا من مقامات البديع ، وبنها على الكذبة ، كما فعل البديع ، ويقول في مقدمتها : « وأنشأ على ما أعنده من فريحة جامدة وقطنة خامدة وروية باضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة ، تحتوى على جد القول وهزله ، ورفيق اللفظ وجزله ، وغير البيان ودرره ، وملح الأدب ونواerde ، إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنایات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحادجي التحوية ، والفتاوي اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب الحيرة ، والمواعظ البكيرة والأضاحيك الملهية ، مما امليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي (١١) ، وأسندت روايته إلى انحراث بن همام البصري .

(١١) هو فيما يقال : المظفر بن سلام البصري التحوى م ٥٤٠ هـ ، لزم الحريري وتأدب عليه وتخرج به وجعل مقاماته رواية على لسانه ، أما الحارث ابن همام فيعني به نفسه ، وقيل أن الحريري ذكر أن السروجي كان شحادة بليغا وحكينا مليحا ، ورد من البصرة فوق في مسجد بنى حرام ، فسلم ثم سال الناس .

٢ - ثالث مقامات الحريري في غصره وبعد حصره شهراً فائقة ، حتى قال فيها ياقوت في ( معجم الأدباء ) : « لقد وافق كتيب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب عرفته ، فإنه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة ، واتسعت له الالفاظ وانقادت له جوامع البراعة ، حتى أخذ بأزمنتها وملك ريقتها ، فاختار الفاظها وأحسن تنسقها ، حتى لو ادعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ، ولا يرد في قوله ، لا يأتي بما يقاربها ، فضلاً عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة ، ويعود الصيت ، والاتقان في احسانها من المواقف والمخالف ما استحقت وأكثر » ، ولما كانته صارت نموذجاً فنياً تقدى به الشعراء والأدباء في صناعة الانشاء ، ويحفظه المؤابون والشدة ، كسباً لنلمهبة وتنمية للذوق .. وشرحها كثير من العلماء من بينهم الشريشى م ٦١٩ هـ ، وعبد اللطيف البغدادى م ٦٢٩ هـ ، والعجبرى م ٦١٦ هـ ، وابن الأنبصارى م ٥٧٧ هـ ، وابن الخطاب م ٥٦٧ هـ ، وسواهم ..

٣ - ويدرك الحريري أنه الفها استجابة لمن أشارته حكم وطاعتة غنم ، وقد اختلف في تفسير ذلك ، فقيل هو الخليفة المستظر بالله كما في رواية الشريشى ، أو شرف الدين أنوشروان ابن خالد أحد وزراء المسترشد بالله على ما روى ياقوت وابن خلkan ، وابن طباطبأ ، أو ابن صدقة أحد وزراء المسترشد أيضاً كما رواه ابن خلkan على نسخة كتبها الحريري ، أو عامل البصرة وواليها في بعض نقول الشريشى ، أو هو أحد أعيان البصرة في نقل آخر له :

٤ - والمواضيعات التي بنى عليها الحريري مقاماته ، هي تلك التي اختارها البديع وشغل بها بطله ، من نقد وحوار أدبي ، وهدایة وارشاد ، وجدل وحجاج ، ومعايير والغاز ، مع ما يستتبع ذلك من وصف الأشخاص والمواضيع ، وخروج البطل في صور مختلفة من صور المأسانيين ، الذين انتشروا في تلك الأزمان ، واحتالوا على الكدية والاستجداء باتخاذ مظاهر الوعاظ ، والعلماء ، والمفتين ، والغزا ، وأبناء المسبيل ، والأعراب ، والحواء ، والسحرة ، والمشنوعين ..

وقد أرى الحريري في ذلك على البديع فتزيد عليه في باب  
الالغاز بما اقتبسه عن ابن فارس ، من المعايادة بالمسائل الفقهية ،  
وزاد كذلك التلاعب بالصنائع اللفظية التي غالى فيها ، كنشاء  
رسالة تقرأ من اولها بوجهه ، ومن آخرها بوجهه ، او رسالة تقرأ ردا  
وطردا فلا يحيط بها الانعكاس ، او رسالة تتكون من كلمات معجمة ،  
فمهملة ، فمعجمة ، فمهملة على التوالى من اولها الى آخرها ، او  
رسالة يراغى فى تأليفها تتابع الاهماں والاعجام بين الحروف من غير  
اخلال ، الى اشباء ذلك من خروب العبث الذى لا يفيد ، ولا يجدى  
منه المعنى أو اللفظ أى جدوى ، اللهم الا الضعف والتکلف المقوت .

٥ - والصنعة البديعية عند الحريري متکلفة ، فقد أجهد فيها  
نفسه ، وأعمل من أجلها خاطره ، وتناق كل التائق في اختيار جملها ،  
ورصف أسلوبها ، وأكثر فيها من البديع والوحش والزينة كثيرا ،  
ويحلها بحلل ثقيلة من السجع والجناس ، والتورية والطباق ، ولم  
يسمى بالغريب من الألفاظ يتضمنها ، والوحشى يستعمله ، مع ما اورد  
فيها من حكمة ومثل ، وما ضمن من شعر ، وما اقتبس من قرآن  
وسنة ، وقد أرهقت الصنعة معانى ارهاقا شديدا .

وهكذا اضافت المقامات الى الأدب العربى فنا أدبيا جديدا لم  
يكن له وجود من قبل هو فن القصة القصيرة .

وقدمت المقامات نماذج أدبية جميلة للأدباء والتأدبين  
ليحتذوا ويحاكروا ويسيروا على منهاجها ، مما يساعد على قوة  
الملائكة والموهبة .

وقد أحيا المقامات كثيرا من مفردات اللغة وأسلوبها ،  
وهي صور الأداء والتعبير فيها .

وكتب المقامات وشرحها والدراسات التي وضعت حولها ،  
كل ذلك كان ثروة لغة العربية وأدابها .

وقد أسهمت المقامات في بناء النهضة الأدبية الحديثة

في مصر والعالم العربي ، اذ كانت المقامات من أوائل ما طبع في مصر ، فتناولتها الأيدي ، وتناولها القراء يتذمرون بها ، ويخرجون عليها في صناعة النثر .

وقد ظهر فن أدبي جديد متاثر بفن المقام ، وهو ضرب من الإنشاء فيه مسايه من المقام ، وإن كن ليس منها ، اذ لا يعتمد خصائص القصة ولا جانبها الفني ، وهو مقالات قصار ، تعتمد على الإيجاز ، وتقصد إلى الوضظ والحكمة ، وتسدى النصح والخبرة وثمرة التجربة إلى القراء ، وليس فيها حوار ولا لها راوية ولا بطل ، ولا تُساق لغرض الكدية ، وهذا الفن نجده في مثل كتاب أطواق الذهب لعبد المؤمن الأصفهاني ، وكتاب أطباق الذهب للزمخشري ، وأسوق الذهب لأحمد شوقي .

وللمقامات بجانب هذه الحستان آثار سيئة في اللغة والأدب ، اذ كانت الصناعة البديعية اللغوية المتکلفة السائدة فيها ذات آثر على فن الأدب وأسلوبه وعلى ملكات المتأدبين والشدة ، وأشاعت فن الأحاجى في الألغاز في الأدب وأبعدت الشباب .

وهذا يدلنا على فضل البديع وسبقه ، والحقيقة أن مقامات البديع أكثر انطباعا ، وأشد انسجاما ، وأبعد عن زخرف الصناعة وغريب اللغة . أما مقامات الحريري فأبدع فنونه ، وأبرع خيالا ، والطف فكاهة ، وأكثر أمثلا ، وقد نالت شهرة أكثر مما نالته مقامات البديع ، وترجمت إلى اللغات الأوربية .

والحريري على أية حال أشهر من كتب المقامات بعد البديع وقد نسبت على منواله ، وكدر أغراضه بأسلوب جزل ، مع اكتثار من الكلمات الحوشية ، وترديه للشعر القديم .



## الفصل الثالث

### ابن دريد ليس المبتكر لفن المقامات

لقد أشرت الى ذلك اشارات صغيرة فيما سبق ، وبحول ذلك دارت بحوث ودراسات كثيرة ، بين من يجعل ابن دريد صاحب الفضل الأول في نشأة فن المقامة ، ومن بينهم د. شرقى ضيف ومن ينفي ذلك ، ومن بينهم الاستاذ عباس الصالحي في كتابه « فن المقامة » . وقد كتب الاستاذ محمد السيد الدغيم حسول ذلك في جريدة الحياة العربية التي تصدر من لندن مقالا في ١٩٩٢/٧/٧ ينفي أن يكون لابن دريد في نشأة المقامات أي فضل .

يقول الاستاذ محمد السيد : لقد ترجم لابن دريد الكثير من المؤلفين ، كطبقات الشافعية للسبكي ( ت ١٣٧١ هـ ٧٧٣ م ) ، وطبقات الشافعية لابن قاضى شيبة ( ١٤٤٨ - ١٢٧٧ هـ ٨٥١ - ٧٧٩ م ) الذي قال في المجلد الأول ، ص ١١٦ ، الترجمة رقم ٦٣ « أبو بكر الأزدي البصري ... كان رأسا في اللغة وأشعار العرب ، وله قصيدة طنانة يمدح بها الشافعى رضى الله عنه ... قال الدارقطنى : تكلموا فيه ... » . وذكرة الامام الذهبي ( ت ١٣٤٧ هـ ٧٤٨ م ) في كتابه « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » ، فاذاك رواية الدارقطنى ، وأضاف : « وقال أبو منصور الأزهري اللغوى : دخلت على ابن دريد ، فرأيته سكران » ، وتوسع في ترجمة ابن دريد الوزير جمال الدين على بن يوسف الققسطى ( ت ١٢٢٧ هـ ٦٢٤ م ) في كتابه « أنباء الرواية على أنباء النهاية » فساق سبعه حتى أوصله إلى : يشجب ابن يعرب بن قحطان ، وذكر أنه ولد في « البصرة في سكة صالح ، سنة ٢٢٣ هـ ، ونشأ بعمان ، وتنقل في الجزائر البحرية ما بين البصرة وفارس ، وطلب الأدب ، وعلم نحو اللغة » . كما ذكر الققسطى سؤالهم للدارقطنى ، عن ابن دريد « أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه ، وقبيل : أنه كان يتسامح في الرواية عن المشايخ ، فيسند إلى كل واحد ما يخطر له » . وذكر الققسطى الأزهري : « دخلت على ابن دريد فرأيته سكران ، فلم أعد إليه » . كما ذكر رواية ابن شاهين

( ٢٩٧ - ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م ) الذي قال : « كنا ندخل على ابن دريد ونستحب مما نراه من العيadan المعلقة ، والشراب المصفى ، وقد كان جاوز التسعين سنة » .

ونستطيع أن نقدر في خصوه ما سلف إن ابن دريد كان من علماء اللغة الشعراء ، ولم يكن ثقة في الرواية ، وهذا ظاهر في ميزان الاعتدال ، وتاريخ الإسلام للذهبي ( ت ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م ) ومسان الميزان - ج ٥ ص ١٣٢ - ، لابن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ ) ، وغير ذلك من الكتب الموثقة .

ولابن دريد من الكتب :

(١) الجمهرة في اللغة ، (٢) كتاب المساجن واللجام ، (٣) كتاب السحاب والغيث ، (٤) كتاب الملحن ، (٥) كتاب الاشتقاد ، (٦) كتاب المجتبى ، (٧) الأخبار المنتورة ، (٨) رسالة من أ فعل وفعلت (٩) أخبار أبي بكر بن دريد . ولله كذلك المقصورة ، ولله مرثية للشافعى ( ١٩٥/٢ تاريخ بغداد ) .

وقد ذكرها ابن قاضى شهبة في طبقات الشافعية ، ح ١/١ ص : ١١٦ ، كما أوردها الاستادى ( ٧٧٢ هـ ١٣٧١ م ) في كتابه طبقات الشافعية ص : ١٨٥ أيضا . ولله مؤلفات أخرى :

(١) كتاب الخيل الكبير ، (٢) كتاب الخيل الصغير ، (٣) كتاب الانواء ، (٤) كتاب المقتبس ، (٥) كتاب رواة العرب ، (٦) كتاب ما مثل عنه لفظا فاجاب عنه حفظا ، (٧) كتاب اللغات ، (٨) كتاب السلاح ، (٩) كتاب غريب القرآن الكريم - لم يتمه ، (١٠) كتاب أدب الكاتب ، على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرده من المسودة ، فلم يخرج ، (١١) كتاب التوسط ٠٠٠ هذا ما ذكره القبطى في أنباه الرواية ج ٣/٣ ص ٩٦ - ٩٧ ، إضافة إلى ما ذكره الكاتب فى مقاله ، كما نجد كتابا أخرى في فهرست ابن النديم ( ت ٢٨٥ هـ ٩٩٥ م ) ، ص ٦١ - ٦٢ ، هي : (١٢) كتاب الرشاح ، وسماه صاحب

كشف الظنو : الوشاح في الآداب ، (١٤) كتاب المقتني ، (١٤) كتاب تقويم اللسان ، (١٥) كتاب المطر ، (١٦) كتاب الأمالي ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنو و قال : أن الميوطي اختصره في كتاب سماه : « قطف الوريد » وأضافة إلى ما سبق ذكره : (١٧) ديوانه ، وقد جمعه السيد محمد بدر الدين وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

وما الأيساخ في تبين ما أغفله الكتاب أو أكثر الباحثين من مؤلفات ابن دريد ، ومن أقوال العلماء فيه ، حتى نتمكن من تقديم صورة واضحة عن ذلك الأديب اللغوي الذي قبل أن له أربعين مقامة في روايات أبي على القالي : « حديثاً أبوا بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : ... وما ذكره الحصري ( ت ٤٥٣ هـ ) في كتابه زهر الآداب ( ج ٢٠٧ / ١ ) ... وهذه حجة ضعيفة ، فلربما وردت تلك الأحاديث « الأقصييس » في مؤلفاته العديدة ، ولا يشترط أن يكون ألف كتاباً خاصاً بذلك ، ورواية الحصري ليست حجة لمعدّ عهده الزعنى ، ومكّن اقامته الجغرافي ، وعدم توثيق الرواية عن السابقين .

وكتب الدكتور زكي مبارك مقالاً عنوانه : « اصلاح خطأ قديم مرت عليه قرون في نشأة فن المقامات » نشره في مجلة « المقتطف » عدد : نisan ( أبريل ) سنة ١٩٣٠ م ، الصفحة : ٤١٨ - ٤٢٠ ، واتهم زكي مبارك الحريري في إذاعة غلط نسبة ابداع فن المقامات إلى الهمذاني ، وقال : « وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ » . واعتمد مبارك على ما جاء في « زهر الآداب » للحصري ، وذكر « دهشة المسيو مارسييه » حين عرض عليه ذلك النص في باريس ، كما ذكر دهشة طه حسين الذي قال له : « ارجع إلى كتاب الأمالي للقالي ... » فرجع إليه مبارك وذكر « حديث البنات اللاتي وصفن أزواجهن » ( ج ١ ص ١٧ ) وحديث العاشق الجميل ( ج ١ ص ٣٨ ) وقصة الكامن ( ج ١ ص ١٣٤ طبع بسولاق ) والرواد الذين أرسلتهم مدحّج ، وقصة أبي نواس في الحج ، وأشار إلى أن أصول ... ( ٢ - أبو الفتح ) ...

فن المقامات لم تكن فارسية « كما أشار إلى ذلك في بعض محاضراته  
الدكتور أحمد ضيف » .

وكتب مبارك مقالا آخر يعنوان : « أحاديث ابن دريد » نشر في « المقتطف » عدد : أيار ( مايو ) سنة ١٩٣٠ م ، صفحة ٥٦١ - ٥٦٤ ، وذكر فيه أن القالى روى عن ابن دريد « أكثر من ستين حديثا بعضها قصير ، وبعضها طويل ... » وقال : « اذا غضبنا النظر من الأحاديث القصيرة جدا التي نقلها القالى عن ابن دريد وعددها مما رواه عن شيوخه ، أو مما وقع اليه من كلام الأعراب ، كان ما بقى من أحاديثه المشابهة في القدر والوضع والأسلوب قريبا من الأربعين » . ثم ذكر وضع ابن دريد واختراعه تلك الأحاديث معتمدا على ما ذكره الحصرى في « زهر الآداب » ثم ذكر قصة أبي نواس التي وصفها ابن دريد ، واعقب ذلك بذكر اهتمام « ابن دريد بتصوير الشمائل العربية ، وكلفه بنوع خاص بتقديم طائفة من الصور المختلفة عن أحلام النساء في فهم الرجال ، واعجاب البنات بأعمال الآباء ، وما يقع من الملاحة بين الأزواج ، والتواصي بين الشباب والكهول ... » وأورده حديث ابن دريد « على لسان أربس بن حارثة : المتنية ولا الدنيا ، والعتاب قبل العقاب ... » وحديث الرجل الأعمى من أزد السراة - مع الشباب الجميل « يا بن أخي : إن اغترارك بالشباب كالقذائف بسمادير الأحلام ... » وذكر أن ابن دريد كان « يتعقب أعيان الجاهلية فينطقهم باللوان من الحوار تمثل ، ما كان يحب العرب أن يعرف عن أسلافهم من كرم الطياع ، وشرف الاحساب » .

وتعقيبا على ما كتبه زكي مبارك نشرت « المقتطف » في « باب المراسلة والمناظرة » ردًا للمرحوم مصطفى صادق الرافعى - الطرابلسى أصلا والمصرى اقامة - وذلك في عدد أيار ( مايو ) سنة ١٩٣٠ ، الصفحة ٥٨٨ - ٥٩٠ ، تحت عنوان : « خطأ في اصلاح خطأ حول نشأة فن المقامات » ذكر فيه مقال الدكتور مبارك ودهشة مارسييه وطه حسين لاكتشافه ، وعلق على ذلك قائلا : « فلما كتب كما ترى ملك من هذا النص عنصر الدهشة ، وكذلك دهشت أنا ، ولكن لا من النص بل

من أن فوما يدرسون للناس تاريخ الأدب ، وهم إلى اليوم يجهلون  
عبارة في كتاب طبع مارا مع العقد الفريد ، وطبع نصفه ، وفيه  
هذا النص ، على حدة . . .

« ولم يذكر أحد في أخبار ابن دريد أن له مقامات ، أو  
أحاديث ، وكتبه معصورة معروفة ، وقد ولد البديع بعد وفاته  
بنحو ثلاثين سنة ، ولا تكون المعارضة عادة إلا للمشهور المتداول ،  
والآحاديث الموضوعة على الأعراب كثيرة لم ينفرد بها ابن دريد  
وأشهر وضاعها ابن الكلبي ، وأبن سعيد ينتهي إليه في أكثر ما يرويه  
. . . وكيف يعارض البديع أربعين حديثا بأربعين مقامة شرقت  
وغربت ، ثم لا يستقىض ذكر هذه المعارضة في كتب الشرق ، ولا  
تراء منقولا إلا عن رحل من أهل القبروان لا رحلة له ولا سند ،  
ولا رواية ، وإنما يستطرف من كل كتاب ، ومن كل خبر ؟ وأن  
صاحب زهر الأداب يقول - في أحاديث ابن دريد - أنه استنبطها من  
ينابيع صدره - يعني ألفها - فهو من وضعه ، وليس من روایته ،  
 وأنه إذا كان كذلك لم يبق وجده لأن يدخلها القالى في كتابه ، ويلبس  
بها على الناس ، ويزعمها مروية بالسند عن ابن دريد إلى الأصمى ،  
أو ابن الكلبي ، ولو فعل لكان كذابا ، وبطلت الثقة به وكتابه .  
هذا مضحك . . . لا شك عندي أن البديع قد غيره في صنعة  
المقامات ، وهذه كانت طريقة . . . وقد وقفت على خبر مصنوع  
كتب قبل البديع بنحو مائة سنة ، ولو حذف اسم صاحبه منه لما  
شك أحد أنه من كتابة البديع في مقاماته ، إذ النسق هو هو ،  
والطريقة واحدة . . . » .

رد زكي مبارك على الرافعي بعنوان « حول نشأة فن المقامات  
- رد على رد » ونشر في « المقطف » عدد حزيران ( يونيو ) سنة  
١٩٣٠ م ص ٨١ - ٨٢ . كما نشر في العدد نفسه ص ٨٢ - ٨٥ .  
تعليق على الموضوع لعبد المقادير عاشور استعرض فيه نشأة المقامات  
وقال : « إن مدرسة ابن دريد هي الجسر الذي عبرته المقامات لتصمل  
إلى شاطئ الابداع في التدوين والتصنيف ، وأن عصره هو الحد  
الفاصل بين المقامة في المجلس ، والمقامة في الكتب ، وإن ابن فارس

هو أول من دون فيها هذا التدوين المعروف فاطلق عليه لفظها ، وبعد أن حذف ابن دريد في أحاديثه ، ثم جاء بعده تلميذه بديع الزمان فimar على نمطه ... هذه هي التي جعلت الحريري يقول ما يقول ويشهد لصاحبها بالفضل والابداع .

ونشرت في العدد نفسه ص : ٨٥ - ٨٦ رسالة بعنوان « بيان حقيقة » تتضمن الاشارة إلى اغلاط الحصرى في زهر الآداب » كتب « على اثر قراءة لقول الأستاذ الرافعى في المقالة التي رد بها على الدكتور زكي مبارك » .

ورد الرافعى في « المقططف » عدده : تموز ( يوليو ) ١٩٣٠ م ص : ٢١١ تحت عنوان : « حول نشأة فن المقامات » فقال : « إن ما خلط به الدكتور مبارك في الكلام عن أحاديث ابن دريد نقلًا عن أستاذة الدكتور طه حسين كلام مضحك ... لا ريب أن في رأس الدكتور وهو يمد له في مزاعمه. الخيالية ... ». »

وللدكتور يوسف نور عوض - أستاذ كرسى الدراسات الأدبية بجامعة سوكوترو وعتابة سابقاً وسالفورد - كتاب « فن المقامات بين الشرق والمغرب » تناول فيه المؤثرات الأدبية والفنية في صناعة المقدمة ( ص ٦٥ ) فذكر أشار : ابن دريد ، وأبن فارسون ( ت ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م ) ، ومقامات الزهد لابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م ) التي وردت في المجلد الثاني من كتاب عيون الأخبار ( ص ٣٣٣ - ٣٤٣ ) بعنوان : مقامات الزهد عند الخلفاء والملوك وهي عشر مقامات ، ثم ذكر اثر النماذج الانسانية الفنية في مقامات الهمذاني ( ص : ٨٢ ) وهي كتاب البخلاء ورسالة التربیع والتدویر للجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م ) وحكایة أبي القاسم البغدادي ، لأبي الطهر الأزدي ( ت في القرن الرابع الهجري ) وقد نشرها آدم متز سنة ١٩٠٢ م ، وأشار إليها زكي مبارك في النثر الفنى ٣٨٨/١ . وذكر الدكتور عوض أخيراً رسائل أخوان الصفا ، وهذا كلّه يحتاج إلى مناقشة .

هكذا نجد أن كتابات ابن دريد لم تشكل بداية مدرسة المقامات، وقد فند هذا الزعم الكاتب عباس مصطفى الصالحي في كتابه «فن المقامات بين الأصالة العربية والتطور القصصي» وخلص إلى «أن الهمذاني هو الأديب الذي صاغ المقامات بشكلها النهائي المعروف حالياً» واستنتج عدم وجود تشابه بين مقامات الهمذاني وأحاديث ابن دريد ونافق رأى الدكتور شرقى خليف بالتشابه . وذكر أن الفرس والبرانيين عرفوا فن المقامات بفضل اليهودي يهودا سلومو الذي ترجم مقامات الحريري للعربية .



## الفصل الرابع

### الازدي وحكايات أبي القاسم البغدادي وشخصية الخوارزمي

اصدر آدم ميتز هذه الحكايات عام ١٩٠٢ ونشرها هي نفسها الاستاذ عبود الشالجي عام ١٩٨٠ في بيروت بعنوان « الرسالة البغدادية » .

والحكايات هي رواية أبي المظفر الأزدي عن أبي القاسم البغدادي ، وهذا في الحقيقة شخصيتان اسطوريتان ، ومن الطريف أن المقامات أبطالها كما يقل شخصيات اسطورية .

وقد أثبتت أبو حيان التوحيدي حكاية أبي القاسم البغدادي في مؤلفاته ، كحديثه عن المغنيات البغداديات المزجود في كتاب « الامتناع والوانسة » ، وقيباهه عام ٣٦٠ هـ ( ذكر تصحيفاً في الحكيمات عام ٣٠٠ ) باحصاء المغنيين والمغنيات في جانبي بغداد ، مع جماعة من أهل الكرخ ، وهو مذكور أيضاً في كتاب « الامتناع والوانسة » .

وقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء حكاية أبي القاسم البغدادي أو الرسالة البغدادية من ضمن مؤلفات أبي حيان التوسي . فهي أدنى له .

ويذكر بنوكلمان في « تاريخ الأدب العربي » ( ج ٢ ) ان أبي المظفر اسمه ابن المظفر ، وحرف إلى « أبي المظفر » ، وأنه هو محمد بن أحمد المظفر الأزدي (١) وأنه ألف في المائة الخامسة للهجرة حكاية أبي القاسم البغدادي التميي (٢) مصوراً بذلك نموذجاً ببغدادياً أصيلاً من العادات والتقاليد ، فعرض حياة بغدادي طفيلي ظريف فصبح ذرراً للستان . يقص مغامراته . وأحاديثه في يوم كامل ببغداد .

(١) توفي عام ٤٨٥ هـ .

(٢) وهي التي نشرها آدم ميتز عام ١٩٠٢ في هايدلبرج عن نسخة في المتحف البريطاني .

## أبو بكر الخوارزمي

٣٢٣ - ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر العالم اللغوي الأديب النحوي الاخباري ، الرحالة ، أديب خوارزم ، ويليه المشرق ، وصاحب الرسائل المشهورة .

كان أصل آبائه من طبرستان ، ووليد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها . وكان متبحرا في كل فن من فنون العربية وخاصة الكتابة والشعر ، جاب الأقطار ، ودخل الأمصار في طلب العلم والأدب ، ويتقلب في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء ، ولقى سيف الدولة وخدمه بالشام ، ثم شرق إلى بخارى ونيسابور وسجستان وغيرها ؛ حتى وافى الصالح السونير ياصبهان ، فكان من جملة المختصين به . ثم ذهب إلى عضد الدولة بشيراز ، فصدر عنه بالأموال الطائلة ، فاستوطن نيسابور ، وأقام بها للملامح والتدريس ، فنكب نكبة سجن فيها ، وفر إلى الصاحب ، ثم عاد إلى نيسابور . قال الشاعري : « وطاب عيشه بها إلى أن رمى في آخر أيامه بداعية من البديع الهمذاني ، ويلي بمساجلته ومناظرته ومناضلته ؛ وأعسان البديع عليه قوم من الوجوه ، فلما يمك في حسبانه ، وأنف من ذلك الموقف ، وانخذل انخذلا شديدا ، وكسف بالله ، ولم يحل عليه الجول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ » .

ومنزلته في الكتبية لا تُنكر ، ويُمتاز عن الصاحب بجزلة اللفظ وفخامته ، وكثير من الناس يفضله عليه ، ويُمتاز البديع عنه برقة العبارة وقصر السجع ، وكان يتشيع ، ولله في ذلك رسائل بد菊花 ، ولله ديوان رسائل طبع في الأستانة وغيرها ، وفيه الكثير من رسائله البليغة الطولة .

## بديع الزمان الهمذانى

٣٩٨ - ٣٥٨ هـ

- ١ -

هو بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، حافظ عصره ، وذكى دهود ، وقدوة الحريرى فى انشاء المقامات ، وقريع الخوارزمى فى المبتدئات والمكابيات . نشأ بهمدان ودرس العربية والأدب على ابن فارس وغيره ، وورث على الصاحب فاقتبس من أدبه وماله ، ثم ضرب فى الأرض يتكتسب بالآدبو فأقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمائة مقامة فى الجد والمهزل تحطها أبا الفتح الاسكندرى محدثا عن عيسى بن هشام بلطف أنيق ، وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريرى مقاماته ، واحتدى حذوها ، واعترف بفضل المسبق له ، ثم شجر بيته وبين الخوارزمى ما كان سببا لهبوب ريحه وبعد صيته ، اد لم يكن فى الحسينيان أن أحدا يجترىء على الخوارزمى أو يتحكى به ، فانتصر لهذا قوم وتعصب لهذا آخرون ، واتفق أن مات فى أنشاء ذلك خصمه ، فخلاله الجمو عند الملوك والرؤساء ، وتتجول فى حواضرهم . فلم يبق بلد فى خراسان الا دخله الى أن أن القى حصده فى هرة ، وصاهر أحد أعيانها من العلماء ، فطاب عيشه ، ونعم باله ، ولكن المنية عاجلته وهو فى سن الأربعين ٣٩٨ هـ . قيل انه مات مسموما ، وقيل انه مات بالسكتة ، وعجل دفنه ، فأفلق فى قبره وسمع صوته بالليل . وأنه نبش قبره فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر .

وكان البديع أسرع أهل زمانه بديهية ، وأكثر شعره وكتابته مرتجل ، وكانت عبارته سهلة لينة فصيرة السجع . تشهد عذوبة لفظها ، واتدفق جملها ، بأن أصحابها قالها طبعا من غير ان يكبح خاطرا ، او يتعمد صناعة ، ولا غرو فقد قيل : انه كان يلقى عليه القصيدة الفارسية فيترجمها فى الحال شعرا الى العربية ، وكان لجريان

طبعه وتوقف ذهنه وتمكنه من صناعته ، يتعمد ان يكتب الكتاب الذى يقترح عليه ، فيبتدئ باخر سطوره ، ثم هلم جرا الى الاول ويخرجه كاحسن شيء وأصلحه .

ومقامات الهمذانى هي حكايات أو قصص قصيرة ، أنشأها بديع الزمان من المحوادث انتى وقعت له أو شاهدها فى أثناء رحلاته الكثيرة فى بلاد خراسان وماجاورها . وقد كتبها فى نيسابور بعد أن عاشر كثيرا من الناس ، وخلط العامة والخاصة هناك . ويظهر أن التسول كان ذائعا وكانت حيل المتسلول معروفة لديه ، وقد عرف بعضهم واتصل به . وكان كثير من الأدباء اذ ذلك على هذه الحال . فيكتب مقاماته يصف فيها حالة هؤلاء ، وعزراها الى رجل سماه أبو الفتح الاسكندرى ، ونسب روایتها الى رجل آخر سماه عيسى بن هشام . وقد يكون فى حياة أبي الفتح الاسكندرى شيء من صفات بديع الزمان نفسه ، وشيء من أخلاقه ، لأنك كان ممن يسأل بأدبه ، ولأن حياته كانت فى جملتها على هذا النحو من الرحمة والمسؤول . وموضوع مقاماته أن رجلا شحاذأ أدبيا وهو أبو الفتح الاسكندرى كان يجول فى البلاد ويتفقدن فى أساليب الاحتيال للحصول على المال . وكل مقاماته التى تنيف على الخمسين لا تخرج عن هذا الغرض ، ولكنها تمتاز بدقة أسلوبها ، وسلامة الفاظها و اختيار عباراتها ، واشتتمالها على كثير من المعانى الطريفة ، والألفاظ اللغوية ، وعدم التكلف الظاهر . حتى لقد يبدو أحياها أن أسلوبها أقرب إلى الكلام الفطري منه إلى التعامل والمصنعة . وهي مسجوعة ، ولكن سجعها رقيق سهل ، احتوى على كثير من المحسنات البديعية ، والاستعاره والمجاز .

## الفصل الخامس

### مقامات البديع

فى المقامرة الأولى « القرىضية » يذكر البديع أن عيسى بن هشام حدثه فقال : طرحتنى النوى مطارحها ، حتى وطئت جرجن الأقصى ، وفيها لقى أبي الفتح الاسكندرى دون أن يعرف كل منهما صاحبه ، وأخذ أبو الفتح يحدثه عن الشعراء ، ثم انصرف ، فقال عيسى ابن هشام فى نفسه : الاسكندرى والله .

وال مقامة الثانية هي الأزادية ، وفيها يستجدى أبو الفتح الناس  
ومعه عياله وأطفاله .

والثالثة هي البلخية ، وفيها ينسب أبو الفتح نفسه إلى قريش .

والرابعة هي السجستانية .

والخامسة الكوفية .

والسادسة الأسدية ، وفيها يقول عيسى بن هشام عن أبي الفتح :  
وأنا أسأل الله يقعده ، حتى أرزق لقاه ، واتعجب من قعود همته مع  
حسن اكتسابه .

والسابعة هي الغيلانية .

والثامنة الأذربيجانية ، وفيها يقول أبو الفتح عن نفسه : أنا جوالة  
البلاد وجوابه الأفلاق .

والنinthة هي الجرجانية ، وفيها يقول أبو الفتح عن نفسه :  
أني أمرؤ من أهل الاسكندرية ، من التلور الذهبية .

والعاشرة : الأصفهانية .

والحادية عشرة : الاهوازية .

والثانية عشرة : البغدادية .

والثالثة عشرة : البصرية .

والرابعة عشرة : الفزارية .

والخامسة عشرة : الجاحظية ، وفيها ينشد أبو الفتح شعرا له :  
اسكندرية دارى الخ .

والسادسة عشرة . الكوفية .

والسبعينية عشرة : البخارية . وفيها يقول عيسى بن هشام : غزوت  
الشغر سنة خمس وسبعين ، ويريد منه خمسا وسبعين وثلاثمائة  
بالضرورة .

والثامنة عشرة : القزوينية .

والنinth عشرة : الساسانية ، وتدور أحداثها فى دمشق ، وفيها  
 يجعل أبا الفتح زعيم الكتبية الساسانية .

والحادية والعشرون : الموصيية .

والثانية والعشرون : المضيرية ، وأحداثها فى البصرة .

والثالثة والعشرون : وفيها يقول أبو الفتح عن نفسه :  
أنا من بلاد الاسكندرية .

والرابعة والعشرون : المارستانية ، ويريد مارستان البصرة وفيها  
يؤكد أن اسكندرية دائرة .

- والخامسة والعشرون : وفيها يقول أبو الفتح عن نفسه :  
أنا من ذوى الاسكندرية .  
والسادسة والعشرون : الوعظية .  
والسبعة والعشرون : الأسدية .  
والثامنة والعشرون : العراقية ، وفيها يقول أبو الفتح : أنا عيسى  
الأصل ، اسكندرى الدار .  
والنinth والعشرون : الحمدانية . وفيها يقول عيسى، بن هشام :  
حضرت مجلس سيف الدولة يوما ، ويفي بقول أبو الفتح عن نفسه : من  
الشغور الأموية ، وبالبلاد الاسكندرية .  
والثلاثون : الرصافية ، ويدرك فيها حيل السياسيين ، وفيها  
يقول عيسى بن هشام : فقام كهل منهم .  
والحادية والثلاثون : المغزالية .  
والثانية والثلاثون : الشيرازية ، وفيها يقول عيسى بن هشام :  
دخل كهل فد غير فى وجهه الفقر .  
والثالثة والثلاثون : الحلوانية .  
والرابعة والثلاثون : النهيدية .  
والخامسة والثلاثون : الأبليسية .  
والسادسة والثلاثون : الأرمنية .  
والسابعة والثلاثون : ويقول فيها فضل الأمير على ابن العميد كفضل  
قريش على باهلة .  
والثامنة والثلاثون : الخليفة ، ولعل النسبة الى خلف بن أحمد  
امير نيسابور .

والنائعة والثلاثون : النيسابورية .

والأربعون : العلمية ، وفيها يذكر أبو الفتح ما سبق إن ذكره :  
امكندرية داري .

والحادية والأربعون : الوصية ، وفيها يقول : لما جهز  
أبو الفتح ولده للتجارة .

والثانية والأربعون : الصimirية ، وفيها يقول عيسى بن هشام : قال  
محمد بن أسوان المعروف ببابي العنبر الصimirي ( ٢٧٥ھ ) .

والثالثة والأربعون : الدينارية .

والرابعة والأربعون : الشعرية .

والخامسة والأربعون : الملكية ، وفيها ذكر سيف الدولة  
ونذكر الأمير ( خلف ) .

والسادسة والأربعون : الصرفية .

والسابعة والأربعون : المساروية .

والثامنة والأربعون : التميمية أو الحرامية .

والنائعة والأربعون : الخمرية .

والخمسون : المطيبة .

والحادية والخمسون : البشّرىة .

والنائعة والثلاثون : النيسابورية .

والأربعون : العلمية ، وفيها يذكر أبو الفتح ما سبق إن ذكره :  
امكندرية داري .

والحادية والأربعون : الوصية ، وفيها يقول : لما جهز  
أبو الفتح ولده للتجارة .

والثانية والأربعون : الصimirية ، وفيها يقول عيسى بن هشام : قال  
محمد بن أسوان المعروف ببابي العنبر الصimirي ( ٢٧٥ھ ) .

والثالثة والأربعون : الدينارية .

والرابعة والأربعون : الشعرية .

والخامسة والأربعون : الملكية ، وفيها ذكر سيف الدولة  
ونذكر الأمير ( خلف ) .

والسادسة والأربعون : الصرفية .

والسابعة والأربعون : المساروية .

والثامنة والأربعون : التميمية أو الحرامية .

والنائعة والأربعون : الخمرية .

والخمسون : المطيبة .

والحادية والخمسون : البشّرىة .

## الفصل السادس

### تطور فن المقامة الحريري

٤٤٦ - ٥١٦ هـ

- ١ -

هو (١) أبو محمد القاسم على بن محمد بن عثمان الحريري البصري اللغوي النحوي الكاتب الشاعر صاحب المقامات المشهورة والبدائع المأثورة ، وهو عربي صميم من بنى حرام . ولد ٤٤٦ هـ بعشان البصرة (٢) ، ونشأ بالبصرة وانقطع لتعلم العربية من اللغة والنحو والأدب ، حتى صار نادرة زمانه ولا سيماء الانشاء ، فجاري البديع في اختراع مقامات متخيلة القصص يأتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون البلاغة وأمثال العرب وحكمها ، واتفق أن أعرابياً فصيحاً يسمى أباً زيد قدم البصرة من سروج (٣) ، فأعجب أهل البصرة به ، فنحله الحريري وقائعاً مقاماته ، وسمى راويها الحارث ابن همام يريد نفسه أخذها من الحديث « كلكم حارث وكلكم همام » ، فالحارث : الكسب . والمهمام : كثير الاهتمام . وأول مقامة صنفها هي المقمة الحرامية الثامنة والأربعين ، وعدة مقامات خمسون مقامة ، صنفها للوزير جمال الدين وزير المسترشد هكذا وجد بخطه ، وقيل : انه عملها للوزير أنوشروان وزير المسترشد أيضاً ، وقد استعظمتها عليه حسده ، وزعموا أنها لمغري قدم البصرة ومات بها .

ومن يطلع على مقاماته ويعرف مغزاًها ومراميها ويلاعنة

(١) ١٢٨ الحياة الأدبية في العصر العباسي الثاني الخفاجي .

(٢) هي قرية قريبة من البصرة ، كثيرة النخل ، وكان لها فيها ١٨ ألف نخلة .

(٣) بلد بالجزيرية .

عباراتها ، يعرف ما كان عليه الرجل من الفضل الجم والأدب الغزير . وقد شرحت المقامات عدة شروح وتزجمت إلى عدة لغات وغاية ما أخذه كتاب الفرنجة عليها : وحده مغزاها وأن أكثرها لا يخرج عن اكتساب المال بطرق خبيثة كالشحادة والاستجداء ، وللحريري العذر في ذلك لأنه فرض روایتها عن الأعراب ، وهم كانوا لا يقدمون المدن إلا متعججين مستجدين ، وبكان الحريري على غناه قذراً وسخاً قصيراً دمياً ، يولع بتنفّس حيته ، ولله ديوان رسائل وشعر جميل وتأليف شريقة ، منها : درة الغواص في أوهام الخواص ، وملحة الأعراب في النحو ، والمقامات مطبوعة مشهورة .

- ٢ -

وقد نسج الحريري (٤) على منوال الهمذاني في مقاماته ، فقد نسج في أسلوبها ، ونظمها وموضوعاتها وصفات راويها ، فقد جعل أباً زيد السروجي الذي عزا إليه مقاماته ، مثل أبي الفتح الاسكندرى : رجلاً أدبياً محطلاً ، وكأنما أخذ أوصافه من أوصاف ذلك الرجل ، وكانت موضوعاته أشبه بموضوعات مقامات البديع ، لأن الحريري وصف أباً زيد السروجي بأنه فقير محظوظ ، يستعمل ذكاءه وقوته ببيانه في كسب عطف الناس عليه واستدرار أموالهم ، كما وصفه بأنه شاعر بليج وخطيب مفوه ، وشحاذ ملح في السؤال ، امتنلت نفسه بالاحتياط على الناس ، ينتقل من مكان إلى مكان ، ويرحل من بلد إلى بلد للسؤال ، وقد اتخذ ذلك حرفة له . وكل مقاماته وصف لنفس هذا الرجل ، أو صور لبعض الناس . ولا سيما الأدباء منهم ، وبينما نما هو كامن في نفوسهم من أطماء وحيل ، واستعمال ما وهبوا من فصاحة وبلاغة في ذلك . وقد أطنب الحريري في ذكر صفات أبي الفتح الاسكندرى . أما أسلوب مقاماته فأظهر شئ فيه تعمد السجع والصناعة اللفظية . ولكن للتكلف لا يظهر في كثير منها ، بل لقد يكون السجع حلية

---

(٤) ولد أبو القاسم بن على الحريري سنة ٤٤٦ هـ بقرب مدينة البصرة ونشأ بالبصرة ، فاتصل بكثير من علماء اللغة العربية وأخذ عنهم فنونها وعرف كثيراً من مفرداتها ، حتى صار أماماً في ذلك . وألف كتاباً في اللغة منها : درة الغواص في أوهام الخواص ، وكان شاعراً وأديباً وكاتباً ومؤلفاً ، ومن أشهر ما كتب مقاماته المعروفة ، ويحسب الحريري بهذه المقامات من أشهر أدباء العرب وأكبر كتابهم .

لكلامه ، وسببا لحسن ديباجته ، ولزلا ذلك لأن كلامه غير مقبول لقلة معانيه أو تكرارها . ومن مميزات أسلوب هذه المقامات أنها جعيبة الفاظ لغوية ، وجمل مختارة ، وأمثال ستائرة ، وأشعار رقيقة ، وقد ولع الحريري بالصناعة اللغوية بكل كتاب زمانه . وأكثر من أنواع البديع ولا سيما التورية والجناس ، ولكنه دل على نبوغ فائق في هذا النوع من الكتابة الفنية .

ومن مقامة للحريري يوصى ابنه بالكدية والشحادة وهي تصوير لفكرة الساسانية وأدبها :

يابنى ، انى جريت حقائق الأمور ، وبلوت تصاريف الدهور ، فرأيت المرء بتشبه لا بنسبة ، والفحص عن مكاسبه لا عن حسبي ، وكنت سمعت ان المعيش امارة وتجارة ، وزراعة وصناعة ، فمارست هذه الأربع ، لأنظر إليها أفق وأنفع ، فما أخذت منها معيشة ولا استغرقت بها عيشة ، أما فرص الولايات ، وخلس الامارات ، فكاضغاث الأحلام ، والغنم المنتسخ بالظلم ، وناهيك غصة بمرارة الطعام ، أما بضائع التجارات ، فمرضة للمخاطرات ، وطعمة للغاريات ، وما اشبهها بالطيور الطيارات . وأما اتخاذ الضياع ، والتتصدى للازدراع ، فمنهكة للأعراض ، وتقييد عائقة عن الارتكاض ، وقلما خلا بها عن اذلال ، أو زنق روح بال ، وأما حرف أولى الصناعات ، فغير فاضلة عن الأقوات ، ولا ناقفة في جميع الأوقات ، ومعظمها معصوب بشيبة الحياة ، ولم ار ما هو بارد المغم ، لذيند المطعم ، وافي المكسب ، صافي الشرب ، الا الحرفه التي وضع ساسان أساسها ، ونوع أجنسها ، وأضرم في الخافقين نارها ، وأوضح لبني غبراء منارها ، فشهدت وقائهما معلما ، واخترت سيماما لى ميسما . اذ كانت التجرب الذى لا يبور ، والمنهل الذى لا يغور ، والمصباح الذى يعشوا اليه الجمهور ، او يستصبح به العمى والعور ، وكان اصلها اعز قبيل ، وأسعد جيل ، لا يرهقون مس حيف ، ولا يلقهم سل سيف ، ولا يخشون حمو لا سع ، ولا يديرون لدان وشاسع ، ولا يرهبون من برق ورعده ، ولا يحفلون بمن قام وتعده . أندיהם متزهة ، رقلوبهم مرفهة ، وطعمهم معجلة ، وأوقاتهم فر مجللة . اينما سقطوا لقطوا ، وحيثما انخرطوا خرطوا ، لا يتخدون اوطانا ، ولا يتقدون سلطانا ، ولا يمتنون عما تقدوا خماماً وتروح بطانا

( ٤ - أبو الفتح )

ومن مقامات الحريري المقامة الاسكندرانية ، التي تتضمن مخاصمة أبي زيد مع امرأته أمام القاضى مما يمثل حبل الساسانيين وأدبهم منها :

« ٠٠٠ في بينما أنا عند حاكم الاسكندرية ، فى عشية عرية ، وقد أحضر مال الصدقات ، ليفرضه على نوى الفاقات ، ان دخلشيخ غورية ، تعطله امرأة مصبية . فقالت : أيد الله القاضى ، وأدام به التراضى ، انى امرأة من اكرم جرشومة ، واطهر ارومدة ، وأشرف خرولة وعمومة ، ميسى الصون ، وشيمتى الهون ، وخلتى نعم العنون ، وبيني وبين جاراتى بون ، وكان ابى اذا خطبني بناة المجد ، وأرياب الجد ، سكنتهم وبكتهم ، وعاف وصلتهم وصلتهم ، واحتاج بانه اعاده الله تعالى بحفلة ، الا يصاهر غير ذى حرفه ، فقيض القدر لنصى ووصى ، أن حضر هذا الخدعة نادى ابى . فاقسم رهطه ، أنه وفق شرطة ، وادعى أنه طالما نظم درة الى درة ، فباعها ببدرة . فاغتر ابى بزخرف محاله ، وزوجنيه قبل اختبار حاله . فلما استخرجنى من كناسى ، وورحلنى عن أناسى ، ونقلنى الى كسره ، وحصلنى تجت أسره ، وجدته قعدة جثمة ، والفيته ضجعة نومة . وكتت صحته برياش وزى ، وأثاث ورثى . فما برج يبيعه فى سوق الهضم ، ويختلف ثمنه فى الخضم والقضم ، الى أن منق مالى بأسره .

## مقامات اليازجي

عالج الشيخ ناصيف اليازجي من المقامات كما عالجه عدد من معاصريه كاحمد البريري ، وابراهيم الأحمدب ، وعبد الله فكري ، وفارس الشدياق وسواهم . الا أن اليازجي قد تفرق عليهم ونال قصب السبق في هذا المضمار بمقاماته الستين التي قلد فيها الحريري واحتذاه في مقاماته ، حتى انه أطلق على احدى مقاماته « السروجية » نسبة الى بطل مقامات الحريري « أبي زيد السروجي » وضمنها شطرا من أبياته هو : « سروج ياناق فسييرى وخدى » ٠٠

وقد اختار اليازجي لمقاماته بظلا اسماء ميمون بن خزام ، ورواية هو سهيل بن عباد وجعل معه في عدد كبير من مقاماته أبيته ليلى « رغلامه رجبا ٠٠

وكلا البطل والرواية لا يختلفان في شيء عن بطل الحريري وروايته ميمون بن خزام كالسروجي في المكر والدهاء وذلةة اللسان ٠٠ وكذلك يتفق سهيل بن عباد مع الحارث بن همام في حب العلم والأدب والتنقل من بلد إلى بلد ، والتقاءه بالبطل وتعرفه عليه ، بعد أن يحاول التخفي والتنكر . كما أن اليازجي يقلد الحريري في اطلاق اسماء البلاد على مقاماته ٠٠ بل يشاركه في أسماء كثير من البلدان التي أطلقها على مقاماته ، كالمقامة البدوية التي تسمى عند الحريري « البكرية » أو « البدوية » ، والمقامة الحجازية والعمانية والاسكندرية والمكية وغيرها .

ويقتله في أنه يبدأ مقاماته بمقامة يتعرف فيها سهيل بن عباد على ميمون بن خزام وينتهيها بتربيه البطل وأن كان اليازجي لا يكتفى بأن يمح بل يجعله يزور بيت المقدس ، وكأنه يصنع ذلك ليرضى بذلك المسلمين والسيحيين في لبنان ، ويقتلده في أن البطل كثيرا ما يبدأ في المقاومة واعطا ، وينتهي فيها إلى الفسق ومعاقرة الشراب ٠٠

وهو مثل الحريري قد يختلف المشاجرات بين البطل وزوجته التي

هي ابنته ليلي ق كما يحتال على القضاة مثله في أكثر من مقامة ويشاركه في حشو مقاماته بالألفاظ والمصوّر البديعية كما يمزج مثله في مقاماته بين الشعر والثرثرة، وان كان شعره متكتلاً غثاً لا يرقى إلى مستوى شعر الحريري الراهن في كثيده من قصائده، وتسود مقامات اليازجي - كما تسود مقامات الحريري - روح التسامق، وسروره الظن بالناس ..

ويقال أن أول مقامة أنشأها هي المقامة العقيقة التي عرضها على أعضاء الجمعية السورية ، فأعجبوا بها ، فأنشأ ستين مقامة اطلق عليها ( مجمع البحرين ) أي بحر التشرد والشعر . وقد قرظها عدد من شعراء وأدباء عصره ، كشهاب الدين العلوى الموصلى ، وسركيس ، وأبراهيم كرامه ، وغيرهم .

واليازجي في مقاماته يحدو حذو الحريري ، والواقع انه قد تتبع خطاه وسار على نهجه في الموضوع والأسلوب . فمن الموضوعات التي طرقتها : الوعظ كما في المقامة الأولى ( العقيقة ) ، وان لم تكن الأولى في ترتيب المقامات المطبوعة .. وفيها يعظ ميمون بن خزام الناس فائلاً : ينكرام الناس والعشائر وأولى الأ بصار والبصائر .. أرأيت ما أخرج هذا البيت وأسمى هذا الميت طاماً جد وكذا واشتد واعتد رركب الأهوال واحتشد الأهوال ، فأنوروا أين ما جمع وهل أتى بشيء منه إلى هذا المضطجع ... الخ .

ويصور في بعضها حيل المكدين كادعاء ميمون انه خطب لابنه ، واحتياله في تحصيل المهر كما في المقامة « الحجازية » .. لكنه في أغلب مقاماته يطرق موضوعاً محبياً إلى نفسه ، هو موضوع اللغة ، وما يتصل بها من صور البديع ، وهو يحاول أن يتتفوق على الحريري ويزه مغالياً في ذلك .. فهو ينظم أراجيز يسجل فيها أسماء الطعام والنيران وال ساعات والرياح ويرد العجوز كما في المقامة « الخزرجية » ، أو يعرض منظومات في الجنس ، كما في المقامة « الرملية » ، أو يضمنها مسائل في دقائق النحو والصرف وأراجيز في علم النحو والعروض .

## البابُ الثانِ

شخصية أبي الفتح الاسكندرى

بطل مقامات البديع



## الفصل الأول

### أبو الفتح ليس شخصية أسطورية

- ١ -

كان ابتكار البديع الهمذانى (٢٥٨ - ٣٩٨ هـ ، ٩٦٩ - ١٠٠٧ م) فى القرن الرابع الهجرى لفن المقامات حدثاً أدبياً جديداً فى الأدب العربى.

فلقد بهر الأدباء والنقاد والرواة أسلوبها ، ووزعة القصة فيها ، وهذا الحوار الذى طالما دار بين بطلها أبي الفتح الاسكندرى وداويتها عيسى بن هشام ، كما بهرهم هذا النموذج الفنى الرفيع الذى تمثل فى شخصية السادسى أبو الفتح البطل .

وفتن الناس بمقامات بديع الزمان افتتننا شديداً . وليس هناك إلا بديع نفسه ، فهو أبو المقامات في الأدب العربى ، صاحب الفضل في إنشائهما(١) ، ويفيد ذلك الحريرى أبو محمد القاسم بن على البصري (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) في مقدمة مقاماته ، فقد جعل ابتداع المقامات راجعاً إلى بديع الزمان ، وعلامة همدان ، وكذلك جعل الشعالبى في «البيتية»، البديع أبي عذرتها ، والواضع لأصولها وخطتها . ويتابعهم في ذلك كثيرون ، منهم ماورن عبود مثلاً ، اذ يقول(٢) : أن خطة المقامات من عمل البديع ، فهو الذي أليسها هذا الطراز ، وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام ، رباعياً نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع .

وكذلك ذهب مازن المبارك الذى يقول(٣) : فتح البديع بابَ فنِ  
جديد هو فن المقامات في الأدب العربى .

(١) ٩٥ الحياة الأدبية في العصر العباسي الثاني الخفاجي .

(٢) ٢٤ «بديع الزمان» لسaron عبود .

(٣) ص ١٦ «مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته» - مازن مبارك .

هذا هو الرأى السائد ، ولكن الحصرى صاحب كتاب « زهر الأدب » يذهب فى كتابه<sup>(٤)</sup> إلى أن البديع اقتبس فن المقامة من أحاديث ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) ، ومعنى ذلك كما قال الدكتور زكي مبارك<sup>(٥)</sup> أن البديع ليس هو البتكر لفن المقامة ، وأن كان له فضل نفى نشأتها ، وينفى مؤلف كتاب « بديع الزمان راقد القصيدة القصيرة » وهو مصطفى الشكعة<sup>(٦)</sup> أن تكون أحاديث ابن دريد ذات صلة بفن المقامة كما عرف عند البديع .

ويجعل آخرون البديع محتذياً حتى أستاذه ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في رسائله الحوارية .

ويذكرون آخرون ، ومن بينهم شوقى ضيف<sup>(٧)</sup> ، أن البديع اقتبس مقاماته من كتابات الجاحظ وقصصه في البخلاء والحيوان والمحاسن والأضداد عن أهل الكدية ، ومع جواز فى المضمون ، فإن شكل المقامة الفنى يبقى جديداً كل الجدة عند البديع . وهناك على أبوى حال فرق بين البذرة والثمرة فى أي عمل أدبى أو غير أدبى .

ويجعل بعض المستشرقين أساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان هما الملمتين للبديع بفكرة المقامات ، ويذكر آخر أن قصص جحا في الأدب الفارسي والعربية والتركية ذات أثر في نشأة المقامة ، وهذا كله كلام يعوزه الدليل ، ولا تنهض به الحجة<sup>(٨)</sup> .

ويذهب آخرون إلى أن المقامة مقتبسة من أصل فارسي ، ولكن المنصفين من العرب والفرس ينفون أن تكون المقامات قد وجدت في الأدب الفارسي قبل بديع الزمان ، إذ لم تعرف المقامات في الأدب الفارسي

(٤) ١ : ٢٢٥ « زهر الأدب » .

(٥) « النثر الفنى » لزكي مبارك .

(٦) ص ٢٠٧ « بديع الزمان » للشكعة .

(٧) ٢٠ « المقامات » لشوقى ضيف - طبع دار المعارف .

(٨) راجع ١٤٦ « الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني » للمؤلف .

الا بعد البديع بنحو قرن ونصف من الزمان . . فاول مقامات كتبت بالفارسية هي للقاضي حميد الدين البلاخي الذي بدأ بكتابتها عام ٥٥١ هـ وتوفي بعد ذلك بسبعين سنوات ( ٥٥٨ هـ / ١١٦٤ م ) كما يقول براون ، ويؤكد محمد تقى بهار<sup>(٩)</sup> أن المقامة من اختراع البديع ، وأن كل اختراع في الأدب العربي كان له صدأه في الأدب الفارسي ، وأن حميد الدين قلد البديع والحريري في مقاماته ، ويدرك الأنورى اعجاب الفرس وأفتقانهم بمقامات حميد الدين .

ان هذه القصة الحوارية القصيرة ، ذات المنهج الفنى الملائم والمصياغة الطريفة ، والصيغة الجديدة ، والفكرة الساسانية ، التي دعيت مقامة ، قد أنشأها بديع الزران الهمذانى لتجبيه طالب الحياة الفنية والأدبية والفكرية والاجتماعية والسياسية المتجددة في عصره .

ولقد جعل بديع الزمان مقاماته بطلا ساسانيا هو أبو الفتح الاسكندرى ، وهو الذي مثل كل أدوارها ، ونوه بجميع فصولها ، وقام بكل احداثها .

وشخصية أبي الفتح – كما تبدو من خلال المقامات – شخصية رائعة حقا ، فهو بطل للوقف كله في المقامات ، وهو – كما يصوره الهمذانى – عالم وأديب وشاعر ، وهو ناقد بلين ، ومغامر محatal ماهر ، مشرد في الآفاق ، تقسو عليه ظروف الحياة فلا يجد أمامه إلا الكدية والاحتياط بكل أسلوب من أجل المال أو الطعام . وهو إلى ذلك كله مجريب حكيم خبير بالأيام وصروفها ، عركها وعركته ، يجب الآفاق ويخطب في الأندية ويهرز الناس بفصاحته وبلاغته .

وكنية أبي الفتح لعمل البديع رمز بها إلى فتوحاته هذا البطل وانتصاراته في مواقفه العجيبة في الكدية .

أما وصف الاسكندرى الذي لازمه فقد يكره معززا لذلك المعنى على أنه نسبة إلى الاسكندر ، ف تكون فتوحات أبي الفتح في أموال

(٩) « تاريخ تطور النثر الفارسي » محمد تقى بهار .

الناس شعيبة بفتحات الاسكندر . وقد ينافق ذلك ان ابا الفتح يكرر في مقاماته قوله « اسكندرية داري »<sup>(١٠)</sup> ، نسبة الى الاسكندرية لا الى الاسكندر الاعظم المقدوني ( ٢٥٦ - ٢٢٣ ق م ) . ويصبح لنا ان نجمع بين الامرين ، ف تكون نسبة الى الاسكندرية مقصودا بها الرمز الى شبهه في فتوحاته السياسية بفتحات الاسكندر التي تنسب اليه مدinetه .

ويقوننا ذلك الى التساؤل : اي اسكندرية كان يعني البديع ، وكان ينسب اليها أبو الفتح الساساني ؟

في المقامة التاسعة الجرجانية يقول أبو الفتح البطل متحدثا عن نفسه : اتنى امرؤ من أهل الاسكندرية من الثغور الاموية . وفي المقامة التاسعة والعشرين الحمدانية يقول من الثغور الاموية والبلاد الاسكندرية . ويكرر أبو الفتح نسبة الى الاسكندرية في مواضع كثيرة أخرى

فإذا رجعنا الى ياقوت<sup>(١١)</sup> وجدناه يذكر أن الاسكندر بنى ثلاث عشرة مدينة سماها كلها باسمه ، ثم تغيرت اسماؤها بعده ، فمنها : اسكندرية مصر ، والاسكندرية التي صار اسمها سمرقند ، والتي صارت مرو ، والتي سميت بعد باسم بلخ ، واسكندرية الأندلس التي على النهر الاعظم - نهر اشبيلية - وهي التي رجحها الامام محمد عبد لوصف البديع لها بأنها من الثغور الاموية وقد كانت الخلافة الاموية تحكم الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر البديع ، الا أنني وجدت رحالة عربيا في القرن الرابع - هو ابن دلف - يذكر مدينة الحصورة عاصمة السند ، ويقول عنها : ان الخليفة الاموى مقيم بها<sup>(١٢)</sup> ، فهل كانت هذه المدينة قديما تسمى الاسكندرية أيضا ، ليصبح امامنا احتمال

(١٠) راجع مثلا في المقامة الأربعين - العلمية - قول البديع :

اسكندرية داري لو قر فيها قرارى

(١١) ٢٢٥/١ معجم البلدان .

(١٢) هذا النص منقول عن معجم البلدان راجع ٤٠٩/٥ معجم البلدان .

جديد آخر ، ويدرك باحث عراقي أن الاسكندرية بين بغداد والحلة<sup>(١٣)</sup> . ولكن ما صلتها اذن بالشغور الأموية ؟

ويذهب عبد الوهاب عزام الى أن صحة الكلمة «الأموية» نسبة الى نهر آموى<sup>(١٤)</sup> - جيرون - وبذلك تكون الاسكندرية المقصودة هي مدينة الاسكندرية على نهر آموى .

ومع ذلك كله فلا نزال نسير في بيداء سحرية .

فمن هو أبا الفتح الاسكندري اذا ؟

١ - هناك رأى سائد انه شخصية أسطورية خيالية محضة ، كشخصية راوى المقامات عيسى بن هشام ، يقول الحريري في مقدمة مقاماته : كلاماً مجهولاً لا يعرف ، ونكرة لا تتعارف . وهذا ما رجحته منذ عشرين عاماً في كتابي «الحياة الأدبية في الأندلس والعصر السياسي الثاني»<sup>(١٥)</sup> . وؤكد ذلك المستشرق الفرنسي آيوار ، فيقول : وضع البديع شخصاً خيالياً ابتكره وسماه أباً الفتح ، وذهب بعض الباحثين الى أن عيسى بن هشام راوية المقامات كان شيئاً للبديع ، ومنهم أبو شجاع شيرويه (٥٠٩ هـ) مؤلف تاريخ همدان ، وينقل ذلك عنه ياقوت في معجم الأدباء ، ولعل ذلك وهم ناشيء من قول البديع في مطلع كل مقامة من مقاماته : حدثنا عيسى بن هشام . ولو ذهبنا الى أن أباً الفتح هو الذي كان أستاذًا للبديع لكان ذلك أكثر حلة بالبحث ، وأكبر انتظاماً على الموضوع .

ومن ذهب الى أن هاتين الشخصيتين خياليتين مؤلف كتاب «بديع

---

(١٣) يعد رسالة ماجستير عن مقامات الحريري ، وأسمة طارق العوسي وهو مدرس بمكة المكرمة منذ سنوات .

(١٤) ٢٣٤ بديع الزمان للشكعة نقاً عن محاضرات عزام في كلية الآداب عام ١٩٤٤ م .

(١٥) ١٤٧ الكتاب المذكور .

الزمان » الدكتور الشكعة الذى يقول : حاولنا أن نجد لبسطى المقامات صدى تاريجيا فلم نعثر لهما على أثر والغالب انهم من ابتكر خيال البديع نفسه(١٦) .

٢ - وهناك رأى جديد هو أن شخصيات مقامات البديع كانت لأشخاص وجدوا بالفعل ، وينذهب الى ذلك بعض المستشرقين ، الا أنهم لم يستطيعوا تحديد هؤلاء الأشخاص المجهولين ، ولا الكشف عن شخصياتهم التاريخية .

وأنا معهم فى ذلك . ولكنني أخطو خطوة جديدة من أجل الكشف عن شخصية أبي الفتح بطل المقامات البديعية .

ويذهب باحث عراقي(١٧) سبق الاشارة اليه الى أن أبي الفتح هو البديع نفسه ، ومن قبل قلت ذلك فى كتابي « الحياة الأدبية فى الأندلس والعصر العباسي الثاني »(١٨) حيث ذكرت أنه قد يكون فى حياة أبي الفتح شيء من صفات البديع نفسه ، وشيء من أخلاقه ، ولكنى أخالف ذلك اليوم ، وستبدو الحقيقة واضحة وكاملة بعد قليل .

ويذهب باحث آخر(١٩) الى أن الكتبية أو المساندية التى كانت صناعة أبي الفتح « تجد من أعلامها فى عصر البديع من يشبه أبي الفتح من وجوه كثيرة : كابن الحجاج (ت ٣٩١ھ) ، وابن سكرة (ت ٣٨٥ھ) وأبى الورد ، ومن يشبهه من بعض الوجوه كأبى حيان التوحيدى ، بل البديع نفسه . ومن يشبهه كل الشبه كأبى دلف والأحنف العكبرى » .. ومجمل هذا الرأى أن أشباه أبي الفتح الاسكندرى كثيرون فى عصر البديع ، وأن أقربهم شبهها به هو أبو دلف والأحنف . وهذا الرأى لا يأتي لنا بجديد ولا بأمر مؤكدى فى البحث على آية

(١٦) بديع الزمان ص ٢٣٢ .

(١٧) هو طارق عبد الوهاب العوسج يحضر رسالة دكتوراه عن مقامات الحريري .

(١٨) ص ١٥٧ و ١٥٨ الكتاب المذكور .

(١٩) ص ٢٣٤ « الأدب فى ظل بنى بويه » للزهيرى - طبع مصر ١٩٤٩ .

حال ، فلم يجزم هذا الباحث برأى معين له . وهذا رأى الدكتور محمد غنيمي هلال وأخساف إليه أن أبا دلف قد يكون أقرب إلى شخصية أبي الفتح (٢٠) .

٣ - ورأى الذي أذهب إليه اليوم هو أن أبا الفتح إنما هو شخصية تاريخية معروفة في عصر البديع ، وهو أبو دلف الخزرجي وحده .

وهذا الرأى لا يسبقني فيه باحث . وبه ينفتح الباب أمامنا لفهم كثير من حقائق الأدب في القرن الرابع . ودليلنا عليه هو ما قاله الثعالبي في « يتيمة الدهر » (٢١) قال :

أنشدني بديع الزمان لأبى دلف ، ونسبة فى بعض المقامات الى  
أبى الفتح الاسكندرى :

ويحك هذا الزمان نور فلا يغرنك الغرور (٢٢)

لا تلزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

ومن هذا النص نعرف الحقائق الآتية :

١ - أنشد البديع الثعالبي شعراً لأبى دلف .

٢ - وهذا الشعر نفسه نسبة البديع في مقاماته إلى أبي الفتح ، فتكون النتيجة هي أن أبا الفتح هو أبو دلف نفسه باقرار البديع .

٣ - كان البديع راوية لشعر أبى دلف ، ويبدو لي أن البديع كان ينزل أبى دلف من نفسه منزلة الأستاذ والمعلم .

---

(٢٠) النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة للدكتور غنيمي .

(٢١) ٣ : ٤٥٤ اليتيمة .

(٢٢) هذا الشعر في المقامات القرصية احدى مقامات البديع .

وإذن يكون إمامنا رأى جديد نجم به ، هر أن البديع حين كتب مقاماته اختار أبا دلف أستاذه وصديقه ومعاصره بطلاً للمقامات ، وكفى عنه بأبي الفتح ، وكان أبو دلف ؟ نوع نموذج ساساني يصلح بطلاً للمقامات ، لأن حياته وشخصيته وتجاربه مطابقة تمام المطابقة للنموذج الذي صوره البديع في المقامات في شخص أبي الفتح الاسكندرى ، ولأن شهره وتجارب أبي دلف كانت تصلح معيناً يستقى منه البديع كل ما يريد إن يصور به أبي الفتح وذلك ما قد كان .

بل أنني أضيف إلى ذلك أن البديع الهمذانى حين سمع قصص أبي دلف الشيخ الحكيم المقرب عن رحلاته وتطوافه في البلاد ، واستمع إلى فكاهات هذا الشيخ وسمره في مجالس الملوك والأمراء والوزراء رأى أن هذه الصورة الفنية تصلح أساساً لفن جديد ابتكره وسماه « المقامة » ، فكان أبو دلف هو الملم لمبدع الشاعر الذي بابتكر فن المقامة في الأدب العربي ، في القرن الرابع ، وفي عصر أبي دلف .

فمن طو أبو دلف هذا إذن ؟

يقول صاحب كتاب « النماذج الإنسانية » (٢٣) :

على أن ثمة شخصية تاريخية واقعية استمد منها الهمذانى نموذجة الأدبي ، وهو الشاعر أبو دلف وكان معاصراً للبياع الزمان ، وكان البياع يعجب به ويستدعيه إلى مجلسه ويحسن إليه .. وهذا الرأى أخذه على ولم ينسبه صاحب الكتاب لى ، مجسافة للأمانة العلمية .

---

(٢٣) أقيمت بحثاً عن شخصية أبي الفتح وأنه هو أبو دلف عام ١٩٧٠ في محاضرة عامة عام ١٩٧١ ، ونشر في الرياض في كتاب بعنوان « أبو دلف » عام ١٩٧١ ، وبعد ذلك صدر كتاب « النماذج الإنسانية » بسنوات مما يدل على سبقى بالرأى .

ومع ما في هذه الجملة من ذهاب إلى ما قلناه من أن أبي دلف هو أبو الفتح الاستكذري بطل مقامات البديع فان فيها على قصرها خطأ كثيرة :

١ - قوله « وكان أبو دلف معاصرًا للبياع الزمان » ، الأولى أن يقال : وكان البياع معاصرًا لأبي دلف لأن أبي دلف كان قد بلغ الستين في حين كان البياع ابن عامين .

٢ - قوله : وكان - أى بياع الزمان - يستدعيه - أى أبي دلف - إلى مجلسه ، أليس الأولى العكس ؟ أستقيم أن يذهب شيخ عظيم كبير السن كأبي دلف إلى شاب صغير .

٣ - قوله « وكان - أى البياع - يحسن إليه - أى إلى أبي دلف - أستقيم ذلك مع مكانة أبي دلف عند عضد الدولة والصاحب عباد وعظماء الدولة بينما كان البياع شاباً يسعى للوصول إلى مراكز النفوذ في الدولة ؟

## الفصل الثاني

الصاحب وأبو دلف



## بين الصاحب وأبى دلف (١)

الصاحب ذو القعدة ٣٢٦ هـ : ٩٣٨ م - ٢٤ من صفر ٣٨٥ هـ :  
٢١ مارس ٩٩٥ م .

- ١ -

لم يبلغ أحد من الأدباء وحملة القلم ما بلغه الصاحب ابن عباد ، من المجد والنفوذ ونزيع الصيت ، وكان - كما يقول ابن خلكان - : « نادرة الدهر ، وأعجوبة العصر ، في فضائله ومكارمه وكرمه » (٢) ، وكما يقول فيه الشاعري : هو صدر الشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان » (٣) .

وقد كرم الصاحب في حياته ووفاته تكريماً لم يبلغه أحد من الأدباء وخلد على صفحات التاريخ ، مجدًا سامقاً ، وأدبًا رفيعاً وذكرى مرددة على الأيام .

- ٢ -

ولد الصاحب اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد في ذي القعدة من سنة ٣٢٦ هـ : ٩٣٨ م في طالقان ، وهو أقليم من أقاليم ايران ، بين قزوين وأبهر ، من أسرة فارسية (٤) رفيعة النفوذ والسلطان ، في خلافة الراضي العباسي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) ، فرعاه أبوه بحنانهما وعطّقهما رعاية فائقة .

وبحضت أيام طفولته الأولى ، والخلافة العباسية تعصف بهما العواصف ، فمات الراضي وخلفه المتقي (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) ثم المستكفي

(١) ٧٥ من كتابي الحياة الأدبية في العصر العباسي الثاني ( خجاجي ) .

(٢) ١ : ٧٥ وفيات الأعيان .

(٣) ٣ : ١٩٢ يتيمة الدهر للشاعري تحقيق محي الدين عبد الحميد .

(٤) ٦ : ١٩٩ كتاب معجم الأدباء لياقوت - نشر رفاعي .

( ٣٢٣ - ٣٢٤ هـ ) ، وفي عهده زاد خطر الدولة البويمية في فارس ، وزحف معن الدولة البويمية على بغداد ، بجيوش كثيفة ، واستولى عليها عام ٩٤٦ هـ ، وخلع الخليفة ، وولى مكان الطيع للعباسي ( ٣٢٤ - ٣٦٣ هـ ) ، وسلب الخليفة سلطانه ، وتولى حكم العراق بالنيابة عنه ، ولم يبق للخليفة ذكر إلا أن يردد اسمه في الخطب ، وتجلى باسمه الأموال للبويميين ، عماد الدولة آخر معن الدولة حكم فارس والأهواز ، كما تزلج أخوهما الثالث ركن الدولة الحكم في الجبل والرى ، وامتد نفوذه على جرجان وطيرستان ..

اما اقليم خراسان وما وراء النهر فكان في نفوذ الحمدانيين الذين اتخذوا بخارى عاصمة لهم ، وكانوا يتمتعون باستقلال قائم ، وان خطبوا لل الخليفة العباسى على المنابر ... وكان اقليم الجزيرة والشام في أيدي الحمدانيين ، ومصر في ظليل الأخشidiين ، والشمال الأفريقي تحت سيطرة الفاطميين والأندلسيين في حكم الأمويين وملوكهم عبد الرحمن الناصر ( ٣١٠ - ٤٥٠ هـ ) .

وكان قيام الدولة البويمية محارلة من العناصر الفارسية لاسترداد نفوذهم وسلطانهم في دولة الخلافة من أيدي الأتراك ، وقضاء على النفوذ التركى في العالم الاسلامى . وبقيام هذه الدولة خضعت الخلافة العباسية لسلطانهم وهبمنتهم على العالم الاسلامى باسم الخلافة والخلفاء<sup>(٥)</sup> .

ولما مات معن الدولة عام ٣٥٦ هـ<sup>(٦)</sup> خلفه في حكم العراق ابنه عن الدولة البويمى ( ٣٥٦ - ٣٦٧ هـ ) ، ثم عضد الدولة بن ركن الدولة ( ٦٦٧ - ٣٧٢ هـ ) باخريته : صعصام الدولة بن ركن الدولة ( ٣٧٢ - ٣٧٦ هـ ) ، فشرف الدولة ( ٣٧٦ - ٣٧٩ هـ ) ، فيهاء الدولة البويمى ( ٣٢٩ - ٤٩٣ هـ ) .

(٥) ٢٤٩ و ٢٥٠ الاداب السلطانية للفارزى .

(٦) في هذا العام نفسه مات : سيف الدولة الحمدانى ، وكافور الأخشيدى ، وأبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى ، وأبو على القالى صاحب كتاب الأمالى .

وفي عهد عز الدولة خلع الخليفة المطیع لله ، وولى مكانه الطائع العباسی (٣٦٢ - ٢٨١ هـ) الذي خلعه بهاء الدولة البويهي أيضاً ، حيث جره أحد قواده من سرير الخلافة ، والخليفة يقول : - أنا الله وأنا إليه راجعون . وفي ذلك يقول : الشريف الرضي :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما إلى أدنوه في النجوى ويدبني  
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه لقه تقارب بين العز والهون  
ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء ييكينى  
هيئات اغتر بالسلطان ثانية وقد ضلوا لاجأ يزاب السلاطين<sup>(٧)</sup>  
. واختار بهاء الدولة القادر بالله العباسی خليفة مكان المطیع  
(٢٨١ - ٤٢٢ هـ) .

وقد نشر التفود البويهي سلطان الشيعة والعلوبيين والاعتزاز .  
وكان للصاحب ابن عباد مجالس يذظر فيها خصوص المعتزلة ويدعم  
حججه<sup>(٨)</sup> .

وفي العهد البويهي نهض الأدب ، كثرت عواصم ، ونبغ كبار  
الأدباء والشعراء ، كابن العميد (٣٦٠ هـ) ، والصاحب (٢٨٥ هـ) ،  
والخوارزمي (٢٨٣ هـ) ، والبدیع الهمذانی (٢٩٨ هـ) ، والصابی  
(٢٨٤ هـ) ، والقاضی الجرجانی (٢٩٢ هـ) صاحب الوساطة ، والکمدی  
(٣٦١ هـ) صاحب المرازانة ، وأبی هلال العسكري (٢٩٥ هـ) صاحب  
الصناعتين ، ومثل المتتبی (٣٥٤ هـ) ، والشیرف الرضی (٤٠٦ هـ) ،  
ومهیار (٤٢٨ هـ) ، والمریحی الحلبی (٤٤٩ هـ) ، وسوامی من اعلام  
الأدب والنقد والبيان والشعر .

(٧) دیوان الشريف الرضی - تحقيق محمد محبی الدین عبد الحمید .

(٨) ٦ : ٢٠٩ - ٢١٢ و ٢٨٠ معجم الأدباء .

وقد تنافس الملوك والأراء والوزراء والولاة في تشجيع الأدب ورعاية الشعراء . ولابن العميد والصاحب والمهلى أثر كبير في ذلك ، وكان ابن سعدان وزير صمصاص الدولة يشجع الفلسفنة والمفكرين كأبي حيان وأستاذه أبي سنيمان المنطقى ، وكان شاهزير بن أردشير وزير بهء الدولة يحتفى بالثقافة والأدب ، وكان ابن العميد يميل إلى العلم من حيث كان الصاحب والمهلى يميلان إلى الأدب ، وأبن العميد أعقل ويدعى الكرم ، والصاحب أكرم ويدعى العقل كما يذكر أبو حيان<sup>(٩)</sup> .

وكانت هذه الثورة السياسية وما صحبها من تيارات مذهبية وعلقية وأدبية هي البيئة العامة التي عاش فيها الصاحب وتاثر بها ، وتأثر فيها .

وكان عباد والد الصاحب عالماً أدبياً كتب لركن الدولة البويهى ، الذي شمل نفوذه الجبل والرى وجرجان وطبرستان ، وكانت حاضرة ملکه هي الرى ، وتولى عياد الوزارة له ، والـف كتاباً في أحكام القرآن ، نصر فيه الاعتزاز وجود فيه<sup>(١٠)</sup> .

وكان هو الأستاذ الأول لابنه اسماعيل ، الذي لقب فيما بعد بالصاحب . وقد عاش هذا الأب العظيم غمراً طويلاً ، ومت في السنة التي مات فيها ابنه ، وهي عام ٢٨٥ هـ . وربذكر ابن خلkan وغيره أنه توفي عام ٣٣٤ هـ أو ٣٣٥ هـ<sup>(١١)</sup> ، والظاهر أن ذلك تحريف .

وهكذا نشأ الصاحب في الرى في بيت سيادة ومجده ، حتى قال

(٩) ٦ : ٢٢٧ معجم الأدباء .

(١٠) ٦ : ١٧٢ معجم الأدباء نقلًا عن كتاب « المنظم في التاريخ » لابن الجوزي .

(١١) ١ : ٧٥ و ٧٦ وفيات الأعيان ، وسلم الوصول فرقة ١٦٦ ( مخطوط بدار الكتب المصرية ) .

أبو بكر الخوارزمي فيه : « الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب  
ودرج من وكرها ، وورثها من أبيه » (١٢) .

وعاشت أم الصاحب عمرا طويلا كذلك ، حتى توفيت عام  
(١٣) ٢٨٤

- ٤ -

تلمذ الصاحب على صديق أبي الحميم ، أبي الفضل بن العميد ، وزير ركن الدولة ، وشيخ الأدباء والكتاب في عصره . و « عمالء ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة » ، والكثير من الأدباء جلسوا منه مجلس الطلاب من الأستاذ ، فأعجبوا به ، وجاوروه وقلدوه ، واتسعوا بطريقه ، وجروا في نهجه ، وقبسو من ناره ، واغترفوا من بحره ، وساوروا في طريقه ترسينا وترسنن (١٤) . وظلت صحبة ابن عباد الأستاذ ، فسمى صاحب ابن العميد ، وأطلق عليه هذا اللقب . وقد مدح الصاحب أستاذه بقصائد شعرية كثيرة (١٥) ، وكانت مجالس ابن العميد يحضرها العلماء والأدباء والتكلمسون للمناظرة (١٦) ، وكان الصاحب يمده أستاذًا ووالدًا وأبن العميد ينزله من نفسه منزلة الابن والتلميذ (١٧) .

ومن أستاذة الصاحب كذلك ابن فارس ، وكان ابن فارس يبعث للصاحب بكتبه والصاحب يصله ويقدرها (١٨) .

وكذلك تلمذ على أبي سعيد السيرافي (١٩) ، وشاهد هذا

(١٢) ٣ : ١٩٤ يتيمة الدهر .

(١٣) ٦ : ٢٣٨ معجم الأدباء .

(١٤) ٣ : ١٥٨ يتيمة الدهر .

(١٥) ٣ : ١٢٩ المرجع .

(١٦) ٣ : ١٦١ - ١٦٣ المرجع .

(١٧) ٣ : ١٩٧ المرجع .

(١٨) ٦ : ٢٢١ معجم الأدباء .

(١٩) ٣ : ٢٠٤ اليتيمة .

الأستاذ الكبير من نبوغة ما حبه إليه ، وعلى أبي بكر بن مقدم تلميذ ثعلب(٢٠) ، وعلى القاضى أبي بكر بن كامل من كبار رواة البرد وشعلب والبحترى وأبى العيناء(٢١) . وكان يتردد على مجالس المتكلمين وأهل النظر بالعراق ، من مثل أبى ذكرييا يحيى بن عدى وغيره(٢٢) .

وشهر الصاحب بالعلوم ، وأخذ من كل من منها بالنصيب الموقور ، والحظ الزائد الظاهر ، ووهب من الفصاحة وحسن السياسة والأدب الرفيع ما وهب(٢٣) .

وكان كثير المحفوظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد أخذ من كل فن بطرف ، وحصل من كل أدب محصولاً كثيراً ، وقرأ كتب المعتزلة ووعاماً ، فغلب عليه كلامهم ، وكتابته سائرة على منهجهم وطريقهم ، وكان شديد التعصب على أهل الفلسفة وعلومها والناظرية فى كتبها(٢٤) .

وثقافته فى العروض والقرافى واسعة ، وألف فىهما ، وكان يتشريع بمذهب أبى حنيفة وفقه الزيدية(٢٥) . ويكتب الرسائل البلاغية ويقول الجيدة ، وحصل على الحديث وتنوّق فيه(٢٦) ، وكانت لديه مكتبة ضخمة(٢٧) ، وطارت شهرته ، وذاع صيته أدبياً وكثيراً مجدداً .

### وقرب ابن العميد تلميذه من الأمير مؤيد الدولة بن ركن الدولة

(٢٠) ٦ : ٢٧٦ - ٢٧٩ معجم الأدباء .

(٢١) ٦ : ٢٧٩ المرجع .

(٢٢) ٦ : ٢٨٠ المرجع .

(٢٣) راجع ٦ : ١٧١ المرجع .

(٢٤) ٦ : ١٧٤ و ١٧٥ المرجع .

(٢٥) ٦ : ١٧٥ المرجع .

(٢٦) ٦ : ٢٥١ المرجع .

(٢٧) ٦ : ٢٥٩ معجم الأدباء .

البويهي ، وكان ينسب عن والده في أعمال الدولة و سياستها . ويصف نه ابن العميد ذكاء الصاحب و موهبه ، فاتخذه كابينا له (٢٨) ، واجتهد الصاحب في الاخلاص له ، و انس منه الأمير كفایة و موابع جمة ، فقربه إليه ، ولقبه بالصاحب كافى الكفاة ، فلما مت ركن الدولة عام ٣٦٦ هـ ، وتولى ابنه مؤيد الدولة أمور الملك بالرئي وأصحابه وأنصاره الملكة أبقى أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد في وزارته ، كما كان في عهد أبيه . ولما أقصى هذا الوزير اتخذ مكانه الصاحب وزيرًا . ومات مؤيد الدولة ، فسعى الصاحب ، حتى جاء باخيه فخر الدولة البويهي (٣٤١ - ٣٨٧ هـ) مكانه وذلك عام ٣٦٧ هـ ، فاقر الصاحب في الوزارة ، ولكن ابن عباد رأى بمنظوره وثاقب رأيه وحنته السياسية ، أن يطلب من فخر الدولة اعفاءه من منصبه ليختار مكانه ميريد لخدمته ، فأبقى فخر الدولة أن يغطيه من عمله وقال له : لك في هذه الدولة من ارث الوزارة ما لنا فيها من ارث الامارة في سبيل كل مننا أن يحتفظ بحقه (٣٩) . ظلل الصاحب وزيرًا لفخر الدولة ثمانية عشر عاماً .

نشر ابن عباد بنفوذه وسلطانه مذهب المعتزلة فدخل الناس فيه ، ومالوا إليه ، رغبة في مرضاته (٤٠) . وكانت أيامه توطيداً لنفوذ العلوينين (٤١) ، وكان متبعاً للشيعة ، ناقماً على معاوية يذكر ذلك في شعره (٤٢) ، وذهب إلى القبول بالاحتياط وتسفيه الجبرية والجبريين (٤٣) .

وأخلص لدولة البويهيين كل الاخلاص ، حتى لقد حاول السامانيون أن يصير الصاحب إليهم ، فأبى وفاؤه ذلك ، وقال : كيف يحسن لي أن

(٤٨) راجع ٦ : ٢٢٤ - ٢٢١ المرجع السابق .

(٤٩) ٣ : ١٩٤ اليتيمة ، ٦ : ١٧٤ معجم الأدباء .

(٤٠) ٦ : ٢٥٥ معجم الأدباء .

(٤١) ٣ : ١٩٢ اليتيمة .

(٤٢) ٣ : ٢٧٧ المرجع نفسه .

(٤٣) راجع شعرًا له في ذلك في المراجع نفسه (٣ : ٢٦٦) .

أفارق قوماً بهم ارتفع قدرى ، وشاع بين الأئمَّة ذكرى<sup>(٣٤)</sup> . وكان فخر الدولة يشق به ، ويجله وإذا رأى رأياً ورأى الصاحب غيره ، امتنل لرأى الصاحب وترك رأيه<sup>(٣٥)</sup> ، وكان فخر الدولة كذلك يحله محل الوالد أكراهاً واعظاماً ، ويخاطبه بالصَّحب في حديثه ورسالته ، وقد التزم رجال الدولة وفواودها مع الصَّاحب الأَدَب والطاعة حتى كانوا يرتدون عند رؤية أحد من حجاته وحاشيته<sup>(٣٦)</sup> . وكان الصَّاحب يلتزم بالعدل مع الشعب<sup>(٣٧)</sup> .

ولما توفي أم الصَّاحب عام ٢٨٤ هـ بأصبهان وورده عليه الخبر ، جلس للعزاء ، وركب إليه سلطانه وولى نعمته ، فخر الدولة ، معزياً ، ونزل وجلس عنده طويلاً يعزيه ويسكن من لوعته وفعل ذلك سائر الأمراء وكبار القواد<sup>(٣٨)</sup> .

وبعد ذلك بقليل نوج سبطه عباد بن على بن الحسين الحسني الهمذاني عام ٢٨٤ هـ بكريمة أحد أمراء فخر الدولة<sup>(٣٩)</sup> فبعث إليه هذا الملك بأموال ضخمة حملها أحد أصحابه الكبار ، وقدم التسواود ورجالات الدولة عليه مهنيين وافقين بين يديه مجلىين معظمين<sup>(٤٠)</sup> ، ومدحه الشعراً بهذه المناسبة .

وفي يوم من الأيام استجار خل فخر الدولة بالصاحب ليحميه من غضبة الملك عليه ، فلم يقبل أن يغيره إلا بعد أن يستعطف الملك ويترضاه<sup>(٤١)</sup> . وكان أقارب فخر الدولة من الأمراء وكذلك كبار فواود يحضرون إلى قصر الصَّاحب فيقفون أمامه مطرقين إلى أن يؤذن لهم

(٣٤) ٦ : ٢٥٩ : معجم الأدباء ، وراجع ٣ : ١٩٧ اليتيمة .

(٣٥) ٦ : ١٧٤ : معجم الأدباء .

(٣٦) ٦ : ٢٤٧ المرجع .

(٣٧) ٦ : ٢٤٨ المرجع .

(٣٨) ٦ : ٢٣٨ و ٢٣٩ المرجع .

(٣٩) ٣ : ٢٤٢ اليتيمة .

(٤٠) ٦ : ٢٤٠ : معجم الأدباء .

(٤١) ٦ : ٢٤١ - ٢٤٢ المرجع .

في الدخول فيكون ذلك شرفاً للواحد منهم ، فإذا دخل إلى مجلس الصاحب قبل الأرض بين يديه ، ولا ينصرف إلا بعد أن يقبل الأرض كذلك مراراً ، ولم يكن الصاحب يقوم لأحد ، ولا يهم بالقيام ، ولا يطمع منه أحد في ذلك<sup>(٤٢)</sup> . وكان رؤساء البوهيميين وأمراؤهم عندما يسيراً اصحاب يعودون بين يديه وكان عضد الدولة في رسائله إليه يجلسه ويعظمنه<sup>(٤٣)</sup> .

وقد كان الصاحب موفقاً في سياساته كل التوفيق ، ففتح خمسين حصناً ، وأضافها إلى ملك فخر الدولة<sup>(٤٤)</sup> . وبلغ غاية لم يبلغها أحد من أقرانه ، وكأن يقول : ما تقي من أوطاري وأغراضي إلا أن أملك العراق ، واتصدر ببغداد واستكتب الصابى ، ويكتب غنى ، وغير عليه<sup>(٤٥)</sup>

وفي شباب أصحاب كان انصاراً إلى انتصاراته في مجالس العلم وأندية الأدب ، أما في أخriات حياته فكانت السياسة تصده عن ذلك ، وتذير الملك يقتضيه السهر في حياته ورعايته ، وقد نجح في ذلك أيماناً ناجح ففتح الفتوح ، وذلل الصروح ووطئ الرقاب ، وأدرك الذار ، واصطنع الرجال ، كما يقول الصاحب نفسه من رسالة له إلى سديته في الأدب أبي العلاء الأسدي<sup>(٤٦)</sup> ، وفي هذه الرسالة يؤكد أن أعباء ، السياسية قد أثرت على صحته ، ومتاعب الحكم قد أ وهت من قوته ، وفيها يذكر بيته من شعره لهما دلالتهما وهما :

وقائمة لم عرتك الهموم وأدرك ممثل في الأمم  
فقلت : دعني وما قد عرا فان الهموم بقدر الهم

(٤٢) ٦ : ٢٤٥ و ٢٤٦ المرجع .

(٤٣) ٦ : ٢٨٠ المرجع .

(٤٤) ٦ : ٢٥١ المرجع .

(٤٥) ٦ : ٣٠٦ المرجع .

(٤٦) راجع هذه الرسالة الخطيرة في ٦ : ٢٩٥ - ٢٩٩ المرجع .

(٤٧) ٦ : ٢٨٤ و ٢٨٥ المرجع .

وقد صرخ بأنه كتب هذه الرسالة وسنّه تزيد على الخمسين ،  
وأرجح أنه كتبها نحو عام ٢٨٠ هـ .

لم ينجب الصاحب غير بنت راحدة زوجها لعلى بن الحسين  
الهمذاني الحسني وكان كتاباً وشاعراً بلديغاً ، وقد أنجبت ابنته  
ولداً سماه جده ( عباداً ) واحتفى بمولده أيام احتفاء وقال فيه :

أحمد الله ليثري أقبلت عند العشى  
ان حبياني الله سبط هو سبط للنبي  
مربضاً ثمت أهلاً بعلام هاشمي  
نیسوی علوي حسني صاحبی (٤٧)

وقد هنأه الشعراء بموالده بقصائد كثيرة (٤٨) ، وبعد أن كبر  
هذا الطفل وبلغ الشباب زوجه جده من كريمة أحد أقرباء فخر  
الدولة (٤٩) ، وهي ابنة أبي الفضل الداعي ، وهنا الشعراً الصاحب  
ذلك بهذه المناسبة الجميلة .

وحين بنى الصاحب قصراً له بأصفهان ، أقبل الشعراً عليه  
يهنئونه بقضائه من جيد الشعر وأعذبه (٥٠) .

وذلك كله يدل على مجده ونفوذه الكبير في الدولة .

وقد رعى الصاحب النهضة العلمية والأدبية في بلاده رعاية

(٤٨) راجع ٦ : ٢٨٦ المرجع ، ٢ : ٢٤٢ - ٢٤٠ اليتيمة .

(٤٩) ٣ : ٢٤٢ اليتيمة .

(٥٠) ٣ : ٢٠٧ - ٢١٨ المرجع .

فائقة ، وأغدق على العلماء والأدباء والشعراء ، فكان يرسل الأموال الجمة إليهم وإلى الكثير من المحتاجين من أهل الشرف وللفقهاء والزهاد والكتاب ببغداد والحرمين ، كل سنة ، مع ركب الحج ، على مقدارهم ومنازلهم ، ويقول الثعالبي فيه : كانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء وحضرته محطة رحالهم ، وموسم فضائهم ، ومترع آمالهم رأمواله مصروفة إليهم ، ومتنازعه مقصورة عليهم ، جلب إليه من الآفاق ، وأقاصى البلاد ، كل خطاب جزل ، وقبول فصل ، واحتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر ، وأبنائے الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقترون غنهم في الأخذ برقاب القوافي ، وملك رق المعانى ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء . وجمعت حمرة الصاحب بأصحابه والرى وجرجان مثل : أبي الحسين السيمى ، وأبى بكر الخوارزمى ، وأبى طالب المأمونى ، وأبى الحسن البديهى ، وأبى سعيد الرستمى وأبى الفاسى الزعفرانى ، وأبى العباس الضبى ، والقاضى الجرجاسى ، وأبى القاسم بن أبي العلاء وأبى محمد الخازن ، وأبى هاشم العلوى ، وأبى الحسن الجوهري ، وبنى المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشانى والبدىع الهمدانى ، واسماعيل الشاشى ، وأبى العلاء الأسى ، وأبى الحسن الغويرى وأبى دلف الخزرجي ، وأبى حفص الشهبنورى وأبى معمر الاسماعلنى ، وأبى الفياض الطبرى ، وغيرهم ومدحه مکاتبة : الرضى والصادقى وابن حجاج وابن سكرة وابن نباتة .

مدح الصاحب خمسماة شاعر من أرباب الدواوين ، وكان من قضائه قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد<sup>(٥١)</sup> . وقل الصاحب : مدحت بمائة ألف قصيدة شعر عربية وفارسية وقد انفقت أموالى على الشعراء والأباء والزوار والقصداد ، وما سرت بشعر ، ولا سرني شاعر ، كما سرني الرستمى بقوله :

ورث الوزارة كابرا عن كابر مرفوعة الاسناد بالاسناد

يروى عن العباس عباد وزا رته واسمعاعيل عن غياد(٥٢)

ولا شك أن الصاحب أثر بذلك في النهضة الأدبية في بلاده تأثيرا  
كبيرا وخطيرا .

كان الصاحب - كما قيل فيه - يجمع بين الرأفة والبطش ،  
والناس يهابونه ويجلونه لاقتداره وطبيعته . وكان وقورا محبوبا من  
العامة والخاصة ، وإلى جانب ذلك كان جوادا سخيا ، لا تخلو داره في  
كل ليلة من ليالي رمضان من ألف نفس يجلسون على مائدته في الأفطار ،  
وكانت صلاته وخيراته في هذا الشهد تبلغ ما ينفق منها في جميع شهور  
السنة(٥٣) ، ولا يقل ما يبذله كل عام في صلات الأشراف وأهل  
العلم ووجوه الخير عن مائة ألف دينار(٥٤) . وكانت له من أسباب  
الهيبة ما يعجز الكاتب عن وصفه(٥٥) . وفي ابن العميد يقول  
خصمهما اللدود أبو حيان التوحيدي : كانا كبيري زمانهما ، واليهما  
انتهت الأمور ، وعليهما طلعت شمس الفضل ، وبهما ازدانت الدنيا(٥٦) .

ومع ذلك فقد هاجهما التوحيدي في كتابه « مثالب الوزيرين »  
هجاء مرا ، والمصق بهما التهم جزافا ، وكال لهم المفواد بغير حساب .  
وهجا بعض الشعراء الصاحب هجاء مفزع(٥٧) ، كأبي العلاء الأسدي ،

(٥٢) ٦ : ٢٦٣ المرجع .

(٥٣) ٣ : ١٩٧ اليتيمة .

(٥٤) ٦ : ٢٤٩ معجم الأدباء .

(٥٥) ٦ : ٢٤٨ المرجع .

(٥٦) ٦ : ٢٣٢ المرجع .

(٥٧) ٣ : ٢٨١ اليتيمة .

والنويرى ، والخوارزمى والسلامى (٥٨) .

وترك الصاحب مؤلفات كثيرة منها :

- ١ - كتاب المحيط باللغة فى عشرة مجلدات ، ومنه نسخة خطية عشر عليها فى لندن فى المتحف البريطانى ، ونسخة فى مكتبة المجمع العلمى العراقى ببغداد تقع فى مجلدين كبيرين ، وكاتبها هو الشيخ محمد السماوى عن نسخة كتبت للسيد على خان المدى صاحب السلافة .
- ٢ - كتاب الكافى فى الرسائل .
- ٣ - ديوان رسائل الصاحب - عشرة مجلدات ، وقد طبعت مختارات منها .
- ٤ - كتاب الزيدية .
- ٥ - كتاب الأعياد وفضائل الوروز .
- ٦ - كتاب فى تفضيل على بن أبي طالب .
- ٧ - كتاب الوزراء .
- ٨ - عنوان المعارف فى التاريخ .
- ٩ - الكشف عن مساوىء المتنبى فى شعره وهو مطبوع ، وقد نقد الصاحب فيه شعر المتنبى ، وكان يتحمّل على المتنبى لأنّه لم يقصد إليه فى الرى ولم يمدحه مع أنه مدح ابن العميد ، وكان الصاحب قبل وفاة المتنبى عام ٣٥٤ هـ لا يزال شاباً ولم يكن له آنذاك كبير الخطر ، ولا شهرة فى السياسية ، ولعل ذلك هو ما جعل المتنبى لا يقصده ولا يقول فيه شيئاً من الشعر .

- ١٠ - كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته .
- ١١ - كتاب العروض الكافي .
- ١٢ - كتاب نقض العروض .
- ١٣ - كتاب جوهرة الجمهرة .
- ١٤ - كتاب نهج السبيل في الأصول .
- ١٥ - أخبار أبي العيناء .
- ١٦ - تاريخ الملك واختلاف الدول .
- ١٧ - وهذا كله بالإضافة إلى ديوان شعره ، وهو مطبوع ، وقد صدرت طبعة جديدة منه من مكتبة النهضة ببغداد بتحقيق محمد حسن آل ياسين .
- ١٨ - وينسب ياقوت إليه كتاباً عنوانه « كتاب الزيدية » ، ولعله هو كتابه الزيدية فحرف .

ظل الصاحب وزيراً لминистр الدولة أكثر من ثمانية عشر عاماً ومات وهو يخطو إلى الستين ، في الرابع والعشرين من صفر عام ٢٨٥ هـ (٥٩) ٣١ من مارس عام ٩٩٥ م ومات بعده فخر الدولة بعامين .

وقد اهتزت مدينة الرى وهي تشيع جثمان الوزير الأديب إلى مرقده الأخير ، وسار أمام النعش فخر الدولة وكبار القواد والأمراء ، وقعد بنفسه للعزاء أيام (٦٠) . وبكاء الشعراء بكاء مؤثراً (٦١) ، فقال فيه : أبو القاسم الأصبهاني :

(٥٩) ٣ : ٢٨٣ البتيرة .

(٦٠) ٦ : ١٦٩ و ٢٧٥ معجم الأدباء .

(٦١) ٣ : ٢٨٤ - ٢٩٠ البتيرة ، ٦ : ٢٦٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ معجم الأدباء .

ما مت وحدك لكن مات من ولدت      حواء طرا ، بل الدنيا ، بل الدين  
تبكي عليك العطایا والصلات كما      تبكي عليك الرعایا والسلطانين  
وقال فيه الشريف الرضی من قصيدة طویلة :

هلا أقالتك الليالي عشرة      يا من اذا عشر الزمان اقالا  
ان يکس الاسلام بعدك رأسه      فلقد رزى بك موئلا وما لا  
كان الغريبة فى الزمان فاصبحوا      من بعد غارب نجمه أمثلا  
وهكذا طويت هذه الصفحة البيضاء وختم سجل تلك الحياة  
الحافلة بالمجيد والعبقرية .

١ - كانت كل الاسباب تدفع بالصاحب الى النبوغ في الأدب :  
عصره، ونشاته العلمية والأدبية، وأساتذته من أمثال : ابن العميد والسيراقي  
وابن فارس ، وبيته ومناصبه التي تقلدها ، وحلقات العلم والأدب  
ومناظراتهما التي خاضها ، والكتب التي قرأها ، ورغبته في أن يحتل  
منزلة ابن العميد ، وأن تتحتل الرى منزلة كبغداد في قيادة النهضة  
الأدبية وترجيدها .

كل ذلك كان عاملاً في تفجر مواهبه ، وانطلاق ملكاته ، وانبعاث  
يُبَيِّن شاعريته ، فكان أدبياً كاتباً بليغاً ، وشاعراً رصيفاً ، وكان  
أستاذه وقدوته في الكتابة الفنية هو ابن العميد ولا ريب .

٢ - وفي عصر الصاحب ازدهرت الكتابة ، وبلغت قمة التجويد  
والتجدد ، ونبغ في هذا العصر اعلام الأدب والنقد والنشر الفنى ، من  
أمثال : ابن العميد والجرجاني والعسكري والأمدي والصابى والخوارزمى  
والبديع والمھلبى والخطبى وغيرهم .

وكان الصاحب بقوله : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : ابن العميد والصابي وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه (٦٢) . وكان يقال إن الصاحب يكتب ما يريد والصابي يكتب ما يراد . وكان يسير على طريقة ابن العميد في الكتابة ، مع حرص شديد على السجع ، حتى روى أبو حيان فيه : أنه لسو رأى سجعة ينخل بمرقعاها عروة الملك ، ويضطرب بها حبل الدولة ، ويحتاج من أجلها إلى غرم ثقيل ، وكلفة صعبة ، وتجشم أمور ، وركوب أحوال ، لما كان يخاف عليه أن يفرج عنها ويخلصها (٦٣) ، ويقول أبو حيان : كان ابن عباد يأتي بالسجع فيثر كلامه ، مع رواية طويلة (٦٤) .

وبлагاته وفقره ورسائله مشهورة ، معروفة المنزلة في الفصاحة والبيان .

يقول في التهنيئة بنت :

أهلاً وسهلاً بعقيقة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصحاب ، والأولاد الأطهار ، والبشرة باخوة يتناسقون ، نجباء يتلحوذون ، قادر ع يا سيدي اغباطا ، واستائف نشطا ، فالدنيا مؤنثة والرجل مؤنثة والبرية ، يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والارض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وبها قوام الأبدان ، وملك الحيوان ، والحياة مؤنثة ولو لاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الانام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقوين ، ولها بعث المسلمين . فهنئنا لك ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما غرف الفضل والردم ، وما في الآمد ، وما عمر لبد .

وأهدى إلى الصاحب مصحف فقال :

(٦٢) ٢٤٦ : ٢ البييمة .

(٦٣) ٦٢٧ : ٦ معجم الأدباء .

كتاب الله وبيانه ، ووحيه وتنزيله ، ومداه وسبيله ، ومعجزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ودليله - ، طبع دون معارضة على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنده الثقلان ، وبقى ما بقى الكون ، لانح سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله . يقسم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد .

وتتلخص طريقة الصاحب الفنية في الكتابة فيما يلى :

أولاً : ايثار السجع والتزامه ، حتى ليقول أبو حيyan التوحيدى متهكما به : كان كلفه بالسجع فى الكلام عند الهزل والجد يزيد على كلف كل من رأيته فى هذه البلاد . قلت لابن المسيبى : أين يبلغ ابن عباد فى عشقه للسجع ؟ قال : يبلغ به ذلك حدا لو انه رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة ، ويحتاج من اجلها الى عزم نقيل ، وكلفة صعبة ، وتجشم امور ، وركوب احوال ، لما كان يخاف عليه ان يخل بها ، بل يأتي بها ، ويستعملها ، ولا يعبأ بجميع من وصفت من عوائقها . ثم قال - نقلًا عن ابن العميد - : ان الصاحب خرج من الرى متوجها الى أصفهان ، ومنزله « ورامين » . وهى قرية كالمدينة ، فجاوزها الى قرية غامرة ، وماء ملح ، لا لشئ الا ليكتب اليها : كتابى هذا من التنيهار ، يوم السبت نصف النهار .

ثانياً : ايثار الفقر القصيرة في التعبير ، لشدة وقوعها في النفس ، وتسوء تأثيرها في السمع .

ثالثاً : الاهتمام بالمعنى اهتماماً واضحاً ، واعطاء الموضوع ما يستحقه من عناصر ، فهو يقسم عناصره ، ويرتبها ، ويعطي كل قسم منها من المعانى ما يوضحه ويبينه ، وهو يأخذ هذه المعانى بالتحليل والتفصيل ، ويتبعها بالتفنيد والتغريب ، ويقرن ببعدها بما يقربه إلى العقل من دليل أو نظير ، ويؤيد بعضها من بعض ، متكتساً على ثقافته العقلية ، فأصبحت الرسالة عنده ذات وحدة موضوعية ، وبنية فنية متميزة ، وصارت معانى عنده دقىقة الترتيب والتفسير .

رابعا : كثرة الحجاج العقلى فى أسلوبه . اثرا لثقافته الكلامية  
التي استفادها من اعتزاليته .

خامسا : الحرص على تأكيد المتن وتقريره ، بمعاودته ، وبإيثار  
الترادف والالحاح عليه .

ونثر الصاحب على الجملة - نو تأملناه - نثر لطيف ، رشيق  
بلين ، عذب سهل ، يتميز بقوة الحجة والاعتماد على المنطق ، مما  
كان اثرا لاعتزاليته وثقافته وعقله الواسع . كما يتميز بقصر الفقرات  
وشدة توقيعها والحرص على السجع فيها ، وقد يعني فيه بالجناس  
أو المقابلة .

ولاشك أن الصاحب كان من أعلام النهضة النسنية في الأدب  
والكتابة وأدب الرسائل في عصره ، وهو القرن الرابع الهجري ،  
انحالف بأسباب النهضة والإزدهار والتجديد والحضارة .

٣ - وفي عصر الصاحب كان الشعر يجناز مرحلة عالية من البلاغة  
والتجديد والإبتكار ، وكان المتبع والرضى ومبهار المعرى ومئات  
الشعراء يدوى ذكرهم في كل أفق ، ويسير شعرهم في كل مكان ،  
ويملؤون الجو الأدبي حياة وقوه وخصبا .

للصاحب شعر كثير ، جمع في ديوان منشور ، وروى بعضه  
منه الثنائي وغيره من الكتاب .

وقد نظمه الصاحب في أغراض كثيرة :

(١) نظمه في الغزل ، كقوله :

قال لي : ان رقيبي سيء الخلق فداره  
قلت : وجهك الجذب - حفت بالمكانه

(ب) وفي الخمريات ، ومنه في وصف الكأس :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر

(ج) ونظمه في الأوصاف والتشبيهات ، كقوله :

شجته والسيف في كفه بالبدر اذ يلعب بالبرق

وقوله :

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه مكانما اهدى له اخلاقه

(د) وفي الاخوانيات ك قوله :

يا ابا الفضل لم تأخرت عنا فأسانا بحسن عهده ظنا

كم تمنت نفسي صديقا صدوقا فاما انت ذلك المتنى

فيغضن الشباب لما تشنى ويعهد الصبا وان فات منا

كن جوابي اذا قرأت كتابي لا تقل للرسون كان وكتا

(ه) وفي المدح ك قوله في فخر الدولة لما بنى قصره بجرجان :

يا بانيسا للقصر بل للعلا همه والفرقه سيان

لم بن هذا القصر بل صفتة تاجا على مفرق جرجان

وقصيك المبني من قبله ملکه والله هو الباقي

فانه والصدر مثلان فابيل نثار العبد بل نظمه

واسمع مقالا لم يقل مثله مذ كانت الدنيا لانسان

لو كان للخلق المهان لكان فخر الدولة الثاني

وَفِي الْبَيْتِ مَا فِيهِ مِنِ الْمُبَالَغَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَمِنَ الْمُلْقِ وَالنَّفَاقِ ٠

( و ) وَنَظَمَهُ فِي الْهَجَاءِ وَالْمَجَونِ كَتَبَهُ :

ان قاصلينا لاعمى أم على عمد تعامى  
سرقة العيد كان الـ عيد من مال اليتامى  
وقوله :

نزلت الأرض زلزلها ف قالوا يا جمعهم : ما لها ؟  
مشى ذا الثقل على ظهرها ف أخرجت الأرض اثقالها  
وهو شعر يدل على ذوق متزلف ، وشاعرية خصبة ، غنية بالألوان  
والصور والأخيلة والمعانى ، ولكنه لا يرتفع به إلى منزلة شعراء عصره  
الخالدين ، من أمثال المتنبى والرضى ومهيار وغيرهم . وهو كذلك  
لا يصل إلى منزلة شعره البليغ الرصين الرائع .

وعلى الجملة فقد كان ( ابن عباد ) ( ٦٥ ) شاعراً مجيداً ، وبليغاً

( ٦٥ ) راجع في الصاحب : المنظم لابن الجوزى - بنيمة الدرر الجزء  
الثالث - وفيات الأعيان الجزء الأول - سلم الوصول ( مخطوط ) - ٠  
معجم الأدباء لياقوت - الأعلام للزرکلى - جميع كتب التاريخ التي  
أرخت للدولة البويمية والقرن الرابع الهجرى - كتب تاريخ الأدب العربى ، من  
مثل تاريخ الأدب العربى للزيارات - تاريخ آدب اللغة العربية لزيدان - تاريخ  
الأدب العربى لبروكلمان ، تاريخ آدب اللغة العربية لمحمد زيدان ، تاريخ  
الأدب العربى للمباعى بيومى ، الأدب نى ظل بنى بويه للزميرى ، أدبيات  
اللغة العربية لمحمد عاطف ، تاريخ الأدب لحفنى ناصف ، الحياة الأدبية فى  
العصر العباسى ، والحياة الأدبية فى الاندلس والعصر العباسى الثانى ، وهما  
لكاتب هذا البحث - العصر العباسى نلاسكندرى ، تاريخ الأدب العربى الجزء  
=

محلقاً ، وأديباً مترسلاً ، في الصيف الأول من أرباء عصره ، وقد  
خلدته روائع شعره ؛ بتبره على مر الزمان .

=

الثاني لـ محمود مصطفى ، دوائر المعارف من مثل : دائرة المعارف الإسلامية ،  
دائرة معارف البستانى ، دائرة معارف القرن العشرين لـ محمد فريد وجدى ،  
الاعلام للزركلى - زهر الأدب للحصري ، الصناعتين للعسكرى ، صبح  
الأشعشى القلقشندي ، النثر الفنى في الرابع لـ ذكى مبارك ، أمراء البيان لـ محمد  
كرد على ، الفن ومذاهبه في النثر العربى لـ شوقى ضيف ، المثل المسائر  
لابن الأثير ، نهاية الأرب للتويرى ، الأدب السلطانية لـ الفخرى - الوزراء والكتاب  
لـ الجهمي ، نشوار المحاضرة للتنوخى ..  
وراجع ديوان الصاحب ، ورسالته : الكشف عن مساوىء المتنبى في  
شعره ، وكذلك مجموعة رسائله .  
وللدكتور بدوى طباعة كتاب عن الصاحب نشر في سلسلة أعلام العرب ،  
وللدكتور حامد داود حفى كتاب عنه كذلك

## **الفصل الثالث**

**أبو دلف في زحام الحياة**



## أبو دلف الخزرجي

( ٣٠٠ - ٩١٣ هـ = ١٠٠١ م )

- ١ -

رحلة من أعظم الرحالة الجغرافيين المسلمين على امتداد التاريخ  
وبخاصة في القرن الرابع

وعالم وطبيب وكمانى وجيولوجي من الطراز الأول في عصره .

ومنادم في الذروة ، جلس في مجالس الملوك ينادهم ، وينادم  
الوزراء والأمراء ، وينال عندهم الحظوة والمكانة الرفيعة .  
وشاعر رفيع المزمل في عصره في الشعر ، وعلم من أعلام الشعر  
الساساني الذي كان به طرائفه وروعته في عصره .

ونموذج فني رفيع للساسانية التي تتميز بالظرف وعلو الذوق  
وجمال الفكامة وحضور البديهة وسرعة النكتة .. وعلو ذوقه  
وجمال فكاهته مما حبه إلى الملوك وقربه إلى الوزراء

وهو شخصية فذة اهتزت دوائر المشرق والمغرب بدراسة أفكارها  
ونتائج رحلاتها القديمة في شتى أنحاء آسيا .

ولقد كان بسيع الزمان الهمذاني وثيق الصلة بأبي دلف ،  
وواقفا على أخباره ، ورواية لشعره ، وفي اليتيمة ما يدن على ذلك<sup>(١)</sup> .  
وكانت شخصية أبي دلف ملء سمع البديع وبصره ، ورحلاته  
وقطوفه في الأرض موضع عجبه واستظرافه ، كما كانت شيخوخة أبي  
دلف وتجاربه وحكمته وخبرته بالحياة وتنقله بين الغنى والفقير ، وحرفتة  
الساسانية وهو علم نيتها . كان ذلك كله موضوع تأمل البديع وتعجبه ،

(١) ١٠٧ من كتابي « الحياة الأدبية في العصر العباسي الثاني » .

(٢) ٣ : ٢٢٣ اليتيمة .

لذلك فان البديع حين كتب مقاماته اتخذ من أبي دلف وشخصيته  
بطلا للمقامات التي أبدعها ، ورمز اليه باسم أبي الفتح الاسكندرى .

ونقول تأكيدا لذلك : ان جميع ما صور به البديع بطل مقاماته  
ابا الفتح الاسكندرى ينطبق على أبي دلف تمام الانطباق .

فهو خطيب وبليغ وشاعر ، وهو جوالة في الأفاق ، وهو  
يحترف الساسانية تظريفا وغاية وحش فكامة ، والعجك من قعوده متنه  
مع حسن آلتنه ، وهو كهل قد غير في وجهه الفقر ، وهو كما يقول  
البديع في المقامة الصimirية على لسان أبي الفتح :

« خرجت أسبعين كأني المسيح فجلت خراسان الى كرمانى  
وسجستان ، وجيلان ، الى طبرستان والى عمان ، الى السند والمهد ،  
والشوية والنبط ، واليمن ، والهزار والطائف فجمعت من النواادر  
والأخبار والأسحار والفوائد .. ما قصر عنه فتيا الشعبى » .

واسم أبي دلف مسعر بن المهلل .

ونسبته الى الخزرج احدى القبيلتين الكبيرتين في المدينة اللتين  
أطلق عليهما بعد الهجرة اسم « الانصار » ، وهم الخزرج والأوس .  
والخزرج في الاسلام وبالاسلام تاريخ كبير خالد ، ومن الخزرج بنسو  
النجار اخوال رسول الله . لأن أم جده عبد المطلب « نجارية » .

أما الينبعى فهو نسبة الى مدينة ينبع المشهورة في الحجاز ،  
ويوصف أبو دلف أيضا بالينبعى ، وينبع وينبع علم واحد لهذه  
البلدة المعروفة من بلاد الحجاز .

ونحن لا نعرف عن المهلل والد مسعر ولا عن قومه شيئا ، فكل  
المعلومات المتعلقة بحياة أبي دلف شحيحة ونادرة .. وقد عنى  
ان يستشرقون بأعمال أبي دلف الجغرافية وحدها ، ومن بينهم رون صوير،

ومينورسكي ، وكراتشوفسكي . ولم يستطعوا مع ما بذلوه من جهد علمي ، كشف ما غمض دن حياة أبي دلف نفسها .

اما أم أبي دلف فنجد في رسالة ابن العميد<sup>(٣)</sup> ، كتبها وعيدها ونهديدا لأبي دلف ، ما يدل على أن صاحبنا يتمنى إلى ابنة محمد بن زكريا الذي كان يعاصر ابن للعميد .

وقد أعياني البحث في المصادر القديمة عن شخصية محمد ابن زكريا فلم أهتد إلى اثر له ، وقد استطاع في المستقبل الامتداء إلى ترجمة له تكشف عن شخصيته ، فاضيف إلى صورة أبي دلف مزيدا من الموضوع والرؤيا .

وأغلب الظن أن أبي دلف ولد في ينبع ، وهو ما ذكره كراتشوفسكي في كتابه ، « تاريخ الأدب الجغرافي العربي »<sup>(٤)</sup> أيضا ، ويؤيد ذلك قول أبي دلف في رسالته التي وصف فيها رحلته إلى الصين ، وهي الرسالة الأولى : « لما نبا بي وطنى ، ووصلتى السير إلى خراسان ، ضاربا في الأرض »<sup>(٥)</sup> . ويدرك خالدوف وبولناكوف في تحقيقهما للرسالة الثانية لأبي دلف ذلك أيضا ، أي أن ميلاده كان في ينبع ، ولكنها يخطئان فيقولان : إن مكان مولده هو في مدينة ينبع المبناء على ساحل البحر<sup>(٦)</sup> . ويقولان اثر ذلك : ومن غير المعروف زمن ومكان مولد ووفاة أبي دلف .

وتذكر بعض المراجع ، ومن بينها الأعلام للزركل ، أن أبي دلف

(٣) سأذكر فقرات من هذه الرسالة عند الحديث عن صلة أبي دلف بابن العميد - وراجعوا في صفحة ٢٨٩ من كتاب مثالب الوزيرين لأبي حسان التوحيدى .

(٤) ص ١٨٨ .

(٥) راجع ٥ : ٤٠٨ مجمع البلدان لياقوت .

(٦) من ٨ الرسالة الثانية لأبي دلف - ترجمة محمد منير موسى - نشر مكتبة عالم الكتب بالقاهرة .

مات نحو عام ٣٩٠ هـ - ١٠٠١ م ، وأنه عاش نحو التسعين عاما ،  
فيكون ميلاده أذن في خلافة المقتدر بالله العباسي عام ٣٠٠ - ٩١٣ م .

ويذكر التعالبى في كتابه « يتيمة الدهر » أنه عمر تسعين عاما ،  
فيفقول عنه : خنق التسعين في الاطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار  
الأربعاء ، ولكن لا يحدد تاريخاً لميلاده ولا لوفاته .

وهو من الجزيرة العربية ، من ينبع عاش القرن الرابع الهجرى  
كله ، يجوب البلاد ، ويمدح الملوك ، ويناصم الأمراء والوزراء ، تراه  
مطوفا في كل مكان من بخارى إلى الصين والهند ، ومن فارس إلى  
أرمينية وأذربيجان وطبرستان ، وببلاد الأكراد ، ويصف كل ما شاهده ،  
ويدون كل ما يلاحظه ، في دقة تامة ، وعناية بالتفصيل ، مما أذهل  
المستشرقين ، فكتبوه عنه أنه كان جغرافياً من الطراز الأول ، ومن أشهر  
الرحالة في القرن الرابع .

وأبو دلف من هذا الجانب مصدر أصيل لكل الجغرافيين المسلمين ،  
الذين أتوا بعده ، ومن بينهم : ياقوت الحموي في كتابه « مجمع  
البلدان » ، والقزويني في كتابيه : « عجائب المخلوقات » و « آثار  
البلاد » .

وأبو دلف شاعر عربي كبير ، مجهول شأنه ، مغمور تاريخه ، لم  
يذكره أحد من المؤلفين القدماء ، وتسببه المحدثون نسيانا تماما .

وال المصدر العربي القديم الذي ترجم لأبي دلف شاعراً ترجمة  
أدبية ، ليس فيها شيء من التفصيل عن حياته ، هو كتاب « يتيمة  
الدهر » لأبي منصور التعالبى شيخ الأدباء في أواخر القرن الرابع  
وأوائل القرن الخامس الهجرى ( المتوفى عام ٤٢٩ هـ ) ، فقد ذكره  
التعالبى في الجباب السادس الذي خصه بالشعراء الطارئين من الأفاق  
على الوزير الصاحب بن عباس ، وقال عنه :

« أبو دلف الخزرجي الينبوعي ، مسرور بن مهلهل ، شاعر كثير الملح

والظرف ، مشحود المدية في الجدية ، خنق التسعين في الاطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعب في خدمة العلوم والأداب » ، ويستمر الشعالبي في الحديث عن أبي دلف ، فيقول : « كان ينتاب - يقصد - حضرة الصاحب بأصبهان ، وينثر المقام عنده ويتنزد كتبه - أى رسائله التي تتضمن التوصية - في أسفاره » .

ويشير الشعالبي إلى معركة الهجاء التي دارت بين أبي دلف والشاعر السلمي (٣٩٤ - ٢٢١ هـ) .

ويذكر شعراً لأبي دلف ، وقصيدته أنساسانية الطويلة(٧) .

وفى موضع آخر من البقية يقول الشعالبي عنه : « وكان بحضور الصاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسمر بن مبلهيل الينبوعي ، يشعر ويتطيب ويتجنم ويحسد السلمي على منزلته(٨) .

ويشير الشعالبي إلى أبي دلف في بعض كتبه الأخرى اشارات عبارة ، مثل كتابه « نطائف المعارف » .

ونجد نقولا جغرافية كثيرة عنه في : « عجائب المخلوقات » و « آثار البلاد »(٩) ، وهما للقزويني ، وفي « معجم البلدان » لياقوت الذى يشير إلى أبي دلف في ٣٤ اقتباساً ٠٠ ودراسات كرتشوفسكى تذكر ٢٤ اقتباساً لا يذكر فيها ياقوت اسم أبي دلف .

---

(٧) راجع ٣ : ٢٥٢ وما بعدها يتيمة الدهر . للشعالبي - بتحقيق محمد محى الدين بد الحميد .

(٨) ٢ ٤٠٠ يتيمة الدهر .

(٩) فى كتاب « آثار البلاد » يوجد ٢٤ اقتباساً من « الرسالة الثانية لأبي دلف » وإن كان لا يشير إلى أبي دلف إلا فى سبع منها ، وفي عجائب المخلوقات توجد كذلك اشارات كثيرة له ، وأربع اقتباسات دون اشارة إلى اسمه .

وفي دائرة المعارف الإسلامية في مادة « مسغر » ترجمة له تبين  
الكثير من دراسات المستشرقين عنه : رحالة كبيرا ، وجغرافيا  
مشهورا (١٠)

وتجيء إشارات صغيرة عنه في كتاب « بلاد ينبع » للشيخ  
حمد الجاسر (١١) .

وفي كتاب الأعلام للزركلى ترجمة لأبي دلف في عدد سطور  
مما جاء فيه عنه : شاعر رحالة ، وكان يكتن بالرسالة الحجازى  
قام برحلة ممتعة إلى الشرق الأقصى ، وكتب ما شاهده في تلك الديار  
في كتاب ضخم ، نقله المستشرقون عنه إلى مختلف اللغات الأوروبية ،  
تجاوز التسعين من عمره توفي نحو عام ٢٩٠ هـ (١٢) .

ويلاحظ الشيخ حمد الجاسر على هذه الترجمة أمرين :

الأول أن الزركلى نسبه إلى ينبع البحر ، وهو من ينبع النخل .

والثاني قوله في « كتاب ضخم » : ويقول العلامة الجاسر : انه  
ليس مجلدا ضخما بل رسالة ، وقد حققها المستشرق مينورسكي وطبع  
في مصر سنة ١٩٥٥ في ٣١ صفحة النص العربي والترجمة الانجليزية  
والدراسة في ١٣٦ صفحة .

وكلام العلامة الجاسر صحيح في أنه ليس كتابا ضخما بل رسالة ،  
وأما قوله : « إن الرسالة حققها المستشرق مينورسكي أخ » ، فذلك ليس  
عن رسالة أبي دلف في وصف رحلته إلى الشرق الأقصى ، وهي التي

---

(١٠) راجع الطبعة الانجليزية الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية .  
وقد ترجم النص الانجليزى لهذا البحث الأستاذ وديع فلسطين - الطبعة العربية  
لم تصل إلى هذه الماده .

(١١) ١١٧ و ١٤٥ بلاد ينبع .

(١٢) ٨ : ١٠٩ الأعلام للزركلى .

تسمى بالرسالة الأولى ، بل عن رسالة أبي دلف في وصف رحلته في آسيا الوسطى وهي التي تسمى الرسالة الثانية .

والرسالة الأولى لأبي دلف عن بتحقيقها المستشرق الألماني رور صوير .

أما الرسالة الثانية فعن بتحقيقها المستشرقون الروس ، فدرسها المستشرق كراتشوفسكي ، ومينورسكي ، وحققها مينورسكي ، ثم خالدوف ويولناكوف معاً في نصها العربي ، وهم مدرسان بجامعة لينجراد .

- ٢ -

وهكذا عاش أبو دلف في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي . وشاهد كل أحداث هذا القرن وغرائبه ، بما سأله فيه من حضارة وازدهار للعلوم والآداب ، وبما سأله من تطورات فكرية وسياسية كبيرة ، كان في مقدمتها : انتهاء نفوذ الخلافة العباسية ، باستيلاء البوهيميين على بغداد عام ٣٣٤ هـ ، وقيام الدول المستقلة عن الخلافة في أنحاء العالم الإسلامي الذي كانت من قبل تجمعه رابطة سياسية واحدة .

ولا نعلم شيئاً عن حياة أبي دلف الأولى ونشأته . وبلا ريب قد تثقف ثقافة واسعة ، وشب عربياً كريماً عزيز النفس ذا شخصية قوية مهيبة مرحة ، في وسامه ولطف . وكانت ينبع النخل آنذاك مركزاً من مراكز العلم والأدب والشعر ، وصار أبو دلف شاعراً وعرف كذلك طبيباً ومنجماً ، ولم يُنسَت « ساسانيته » بمنقصة لعزة نفسه ، فقد كانت ساسانية ظرف وفكاهة وأدب وطواف بالآفاق .

وفجأة ينبو بأبي دلف وطنه ، وتسيير به الحياة إلى الأمير الساماني نصر بن أحمد (٣٠١ - ٣٢١ هـ : ٩١٤ - ٩٤٣ م ) ، قيحفل عنده منزلة عالمية في دولته ، وقد يكون الشعر أو الطب يدعه صلةه بالأمير ، ومهما كان ، فقد صار أبو دلف شاعر الأمير وندمه ، وصار كذلك سفيره في كثير من المهام الرسمية .

ولكان الجبهاتى أبو عبد الله بن أحمد بن نصر وزير للسامانيين (توفى عام ٢٣٠ هـ ٩٤١ م ) ، وكان يشجع الأدباء ، ويختفى بالعلماء ولعله هو الذى احتضن أبا دلف ، أو اخذه كتابا له ، وعن طريقه نوطدت صلته بملك السامانى نصر بن أحمد الذى كانت بخارى عاصمة مملكة الواسع الذى امتد نحو الثلاثين عاما ( ٢٣١ - ٢٠١ هـ ) .

وفي عهد الملك نصر بن أحمد وفد إلى بخارى وفد هندي برياسة الأمير الهندي كلالى فى سفارنة هندية إلى بلاد الملك السامانى، وأنجز هذا الوفد مهمته ، وعند عودتهم إلى بلادهم بعث معه الملك شاعره أبا دلف ليكرن مرافقا لهم .

وزار أبو دلف فى هذه الرحلة كشمير وكابل وسواحل مليبار ، ووصف ذلك كله فى كتاب الفه بعنوان « عجائب البلدان » ، والظاهر أنه مجموع رسالتيه فى وصف رحلاته (١٣) .

وفي آخر حكم نصر بن أحمد السامانى وفدى على بخارى كذلك وفدى صيني ، ويقصى أبو دلف قصة مذا الوفد ، فيقول (١٤) :

« ان رسول ملك الصين جاءوا ليخطبوا ابنة الملك السامانى لملتهم ، فأبى نصر بن أحمد ذلك ، واستذكرة لحظر الشريعة له ، فلما أبى ذلك عرضوا عليه أن يزوج بعض ولده من ابنة ملك الصين ، فأجاب إلى ذلك ، فاغتنمت قصدا الصين معهم » .

ولكان ذلك نحو عام ٢٣١ هـ : ٩٤٢ م وقد عبر أبو دلف هو والوفد الصيني تركستان الغربية ، وتركستان الشرقية وبلاد التبت ،

(١٣) كنت أظن أنه كتاب مفقود ، ولكن أبا دلف يبدو أنه قسمه إلى رسالتين ، وذاعت كلمة الرسالة الأولى والرسالة الثانية بدلا عن الاسم الأصلى وهو « عجائب البلدان » ، وقد جرى على ذلك بروكلمان ، فلم يذكر الرسالة الأولى والثانية لأبى دلف ، أما ذكر مكانها كتاب « عجائب البلدان » .

(١٤) ٤٠٨ : ٥ مجم البلدان لياقوت .

ودخل الصين من مدينة « مقام الباب » ، فoward المقام ، فسندابل  
العاصمة ٠٠ ويقول أبو دلف (١٥) :

ودخلت على ملكهم فخاطبته الرسل بما جاءوا به من تزويجه  
ابنته من نوح بن الملك الساماني نصر بن أحمد ، فأجابهم إلى ذلك ،  
وأحسن إلى والي الرسل واقتنا في ضيافته ، حتى نجزت أمور المرأة ،  
وتم ما جهزها به ، وحملت إلى خراسان ، إلى نوح بن نصر ، فتنزوج  
بها . ويقول أبو دلف :

وأقمت بسندابل العاصمة مدة ، القى ملكها في الأحابين ، فيفاوضنى  
في أشياء ، ويسألنى عن أمور من أمور بلاد الإسلام ، ثم استاذته في  
الانصراف ، فاذن لي بعد أن أحسن إلي » .

وغادر أبو دلف الصين إلى الهند حتى رجع إلى بلاده عن طريق  
سجستان .

وزادت هذه الرحلة من مكانة أبي دلف في دولة السامانيين ،  
ومن منزلته في عصره ، وفي الحياة الإسلامية بصفة عامة .

تنقضى هذه المشاهد كلها ، ونرى ابن ينبع الكبير يعيش في  
ظلل دولة البوبيهيين ، ولا ندرى كيف كان ذلك ، ولا متى كان ؟

ترك أبي دلف بخارى والسامانيين إلى البوبيهيين ، وزيرهم الشهير  
ابن العميد ، ثم وزيرهم الكبير الصاحب بن عباد ، وإلى عرواصهم  
الكبير ينتقل بينها : أصبهان ، والری ، وبغداد ، وأصبح رفيق المكانة  
عند عضد الدولة الملك البوبي نفسه .

---

(١٥) ٥ : ٤١٤ معجم البلدان .٠٠ وفي مروج الذهب للسعودي المؤرخ  
(ت ٣٤٦ هـ) ج ١ ص ٤٤٩ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد : وقد  
رأيت ببلخ شيخاً جميلاً ذا رأي وفهم وقد دخل الصين مراراً كثيرة ولم يركب  
البحر قط .٠٠ فهل يقصد السعودي بذلك أبي دلف ؟

وكان ابن الفضل محمد بن العميد ( ٣٠٠ - ٣٦٠ هـ ) أمام عصره في الأدب والكتابة والبلاغة ، كما كان له مجد وهميته وسلطانه السياسي في دولة البرويهيين ، وكان وزيراً لركن الدولة البرويهي ( ٣٢٠ - ٩٣٢ هـ : ٩٧٦ م ) وذلك من عام ٣٢٨ هـ : ٩٣٩ م .

وقد بدأ أبو دلف يتصل به ، رالظاهر أنه أقبل عليه ثم أعرض عنه ، فهجاه أبو دلف ، ورد عليه ابن العميد ، مهدداً برسالة رواها أبو حيان التوحيدي في كتابه « مثالب الرزيرين » (١) ، وجاء فيها :

« الآن علمت أيها الشيخ أنك ذي مكايد ، والى جميع ما أنهاك عنه مخالف ، وعلى بيتك المعروف ثابت ، وبفضلة لسانك مسحور » ..

إلى أن يقول ابن العميد :

« تقاعست عن بلا عذر ، ووقفتني بين وصل وهجر ، فلم أدر كيف أخاطبك ؟ وعلى ماذا أعاذبك ؟ لأنك مشهور بقحة ، ومذكور بسلطة ، ومعتاد للبهت ، وجار على الكدب » ..

« وأول ذلك أنك تدعى بنوة محمد بن زكريا من ناحية ابنته ، وقد شاهدت محمداً وما خلف بنتا » ..

ثم يقول ابن العميد في غضب ظاهر :

إن في الموت خلاصاً منك ، ومقارقة مثلك ، والله ما أندب إلا حسن ظني بك ، ومباهاتي أهل مجلسي بفضلك ، وقرني : « أبو دلف وما أدرك ما أبو دلف ؟ لا تنتظروا إلى هزله ، فإن وراء ذلك جداً ، وهو الماء الذي قد جمع الله له بين المنظر والمخبر ، وبين الدعوى والبينة ، وبين القول والحججة ، وبين الضمان والوفاء ، وبين الصدقة والشنقة » ..

---

(١) ص ٢٨٩ - ٢٩٢ المرجع المذكور .

« فما زلت أقول هذا رشبته ، وأصحابي يشيعون قوله بمثله في الظاهر ، ويخالفونني بعلمهم في الباطن ، حتى كان النهج لهم ساعة هذه . لأنني احتجت إلى علمك فخيت عهدي ، وأقبلت عليك فأغرضت عنى ، ووهبت لك كلّي ، فبخلت بي بعضك على .. ولقد استفدت بمعرفتك تجنب مثلك .. »

ويقول أبو حيان التوحيدي(١٧) :

قلت لأبي دلف : ماذا أجبته عن هذا الكلام ؟

قال : عملت شيئاً لم أجسر على أظهاره ، وبخفت صولته ونكايته ،  
وشره وغاثاته .

وتوفي ابن العميد عام ٢٦٠ هـ وولى ابنه أبو الفتح منصب أبيه في عهد ركن الدولة ، ثم في عهد مؤيد الدولة الذي كان يؤثر تلميذ ابن العميد الصاحب بن عباد ويقدمه . وانتهى الأمر بمقتل أبي الفتح الوزير عام ٢٦٧ هـ

اما الصاحب بن عباد (٢٢٤ - ٢٨٢ هـ : ٩٢٦ - ٩٩٥ م) فهو الوزير البويمي الكبير الذي وزر لبني بويه طيلة ثمانية عشر عاما (٢٦٧ - ٣٨٥ هـ ) .

وصار أبو دلف قريب المنزلة من الصاحب(١٨) ، يجلس في مجالسه في أصبهان والری متذمّنا ، ومادحـا ، وكان الصاحب نادرة الدهر ، وأعجوبة العصر(١٩) ، وظل وزيراً مدى ثمانية عشر عاما

(١٧) ٢٩٢ مثالب الوزيرين .

(١٨) راجع عنه : ٢٦٨/٢ - ٢٧٠ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - كتابي الحياة الأدبية في أندلس والعصر العباسى الثاني - ١٣ : ٩٧ معجم الأدب لياقتـ .

(١٩) ١ : ٧٥ رفيات الأعيان .

( ٣٦٧ - ٢٨٥ هـ ) ، وكانت له خزانة كتب فيها نحو ربع مليون كتاب (٢٠) .

وقد احتف بالصاحب من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقتصرن غنائم في الأخذ برقاب القرافي ، وملك رق المعانى . فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء المذكورين ، وجمعت حضرة الصاحب بن عباد بأصحابهان وجرجان مثل أبي الحسن السلامي ، وأبي سعيد الرستمي ، والبديع الهمذاني ، والقاضي الجرجانى ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي دلف ، والصابى ، وسواهم ، فمن يطول ذكرهم كما يقرن الثعالبي في « يتيمة الدهر » (٢١) .

ويذكر الثعالبي أبا دلف من شعراء الصاحب ومناصمه وجلاسه (٢٢) .

ويقول : وكان بحضور الصاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسرع ابن مهلل الينبغي ، يشعر ويتطيب ويتنجز (٢٣) .

وكان الأدباء يجدون في ظل الصاحب أمنا وأمان لهم ، مما حل بالبلاد في عهد البوبيهيين من فقر مدقع ، فقد صارت العراق - كما يقول المقدسي - بيت الفتنة والغلاء (٢٤) . وأحترف أكثر العلماء والأدباء صناعة الوراقه ، كأبي حيان التوحيدى (٢٠ - ٤١٤ هـ) وغيره .

(٢٠) ٩٧ : ١٣ معجم الأدباء لياقوت .

(٢١) ١٦٩/٣ اليتيمة .

(٢٢) ١٨٩ : ٣ المرجع نفسه .

(٢٣) ٤٠٠ : ٢ المرجع .

(٢٤) ١١٣ أحسن التقاسيم .

وأتصل أبو دلف بع ضد الدولة<sup>(٢٥)</sup> الملك البوبيه فى بغداد ،  
وجلس فى مجالسه شاعراً ومنادماً ، وتصور لنـ القصمة الآتية مكانة  
أبى دلف عند هذا الملك البوبيه الكبير ، وقد رواها الشعاليـ فى كتابه  
« لطائف المعارف » :

جرت بين أبى على الهاـم وأبى دلف الخزرجـ فى مجلس أنس  
لـضـ الدـاولـة بشـيرـ زـ مـطـاـيـهـ وـمـدـاعـيـهـ ، وـمـحـاـضـرـ ، وـمـذاـكـرـ اـنـتـصـرـ  
فيـهاـ أبـىـ دـلـفـ عـلـىـ صـاحـبـهـ اـنـتـصـارـ كـبـيرـاـ .

فـأـعـجـبـ عـضـ الدـاولـةـ بـكـلـامـ أـبـىـ دـلـفـ ، وـوـفـورـ حـظـهـ منـ طـوـافـهـ  
بـالـشـرـقـ وـالـغـرـبـ ، وـوـقـوفـهـ عـلـىـ خـصـائـصـ الـبـلـدـاـنـ فـىـ كـلـ مـكـانـ منـ  
الـعـالـمـ اـسـلـامـ ٠٠٠ـ وـلـمـ يـمـلـكـ إـلـاـ بـنـ صـاحـبـ بـلـءـ فـيـهـ بـهـذـهـ العـبـارـةـ  
الـعـجـيـبـةـ الـتـىـ لـمـ يـقـلـهـاـ مـلـكـ فـىـ أـحـدـ مـنـ الـأـدـبـاءـ أـوـ الرـعـيـةـ ، قـالـ عـضـ  
الـدـاولـةـ فـىـ تـعـجـبـ ظـاهـرـ :

« الله درك يا أبا دلف ٠٠٠(٢٦) .

ملك يا أبا دلف ينـاصـدـ المـلـوكـ .

وـأـمـرـ لـهـ بـخـلـعـةـ وـصـلـةـ حـسـنـةـ .

وتـدـلـ هـذـهـ قـصـةـ عـلـىـ مـاـ يـلـىـ :

- ١ - كـثـرـةـ طـوـافـ أـبـىـ دـلـفـ بـالـعـالـمـ اـسـلـامـ ، وـوـقـوفـهـ عـلـىـ  
خـصـائـصـ كـلـ مـصـرـ مـنـ أـمـصـارـهـ ، وـبـلـدـ مـنـ بـلـدـاـنـهـ .
- ٢ - حـضـورـ بـدـيـهـتـهـ وـوـفـرـةـ أـدـبـهـ .
- ٣ - ماـ كـانـ يـتـمـتـعـ بـهـ مـنـ مـنـزـلـةـ رـفـيـعـةـ عـنـ عـضـ الدـاولـةـ .

---

(٢٥) من شعـراءـ عـضـ اـنـدوـلـةـ : المـنـبـيـ ، وـالـاسـلـامـ ، وـغـيـرـهـماـ وـمـنـ الـعـلـمـاءـ  
الـذـيـنـ كـانـتـ لـهـ مـنـزـلـةـ عـنـهـ أـبـوـ عـلـىـ الـفـارـسـيـ الـذـيـ أـهـدـاـهـ كـتـابـهـ « الـايـضـاحـ »  
(٣ : ٦٨ ذـيلـ تـجـارـبـ الـأـمـمـ لـسـكـوـيـهـ ) .  
(٢٦) ٢٣٩ـ المـرـجـعـ السـابـقـ .

٤ - وفراة حظه من بين منادم الملوك وحسن مجالسيهم .

وترافق عضد الدولة عام ٣٧٣ هـ ثم توفي بعده بزمن ليس  
بطويل وزيره الصاحب ، وذلك عام ٣٨٥ هـ .

ويحفل أبو دلف منزلة ضخمة بين الرحالة المسلمين والجغرافيين  
العرب على مرور الأيام .

ويعد من أشهر الرحالة المسلمين في القرن الرابع الهجري ، وقد  
بهر العالم بما قام به من رحلات ، وما كتبه عن مشاهداته ووصايفه  
للبلاط التي رحل إليها وطاف بها .. وقد حفظ لنا ابن النديم في  
كتابه « الفهرست » وياقوت في « عجائب المخلوقات » ، « آثار البلاد »  
مقطفات كبيرة من وصف أبي دلف للبلاد التي جابها . والأسفار التي  
قام بها رحالتنا العظيم المسلم أبو دلف في القرن الرابع الهجري ،  
العاشر الميلادي ، في أنحاء كثيرة من العالم المعروف آنذاك : الهند  
والصين ، وأسيا الوسطى ، وهي الأسفار والرحلات التي طار ذكرها ،  
وشهد أمرها بين الناس في عصر أبي دلف وبعد عصره حتى اليوم ،  
والتي نال أبو دلف بها في حياته مجدًا كبيرًا ، قاده إلى قصور  
الملوك والوزراء والأمراء ، ونال بها بعد وفاته مجدًا تليدا خالما  
فيما كتبه عنه أعمال المستشرقين من كتابات ، وما حفلت به دواوين  
الاستشراق عن رحلاته من معلومات ، وما سجل عنه في دواوين المعارف  
من عجائب الكشوف الجغرافية .

يصنفه ابن النديم (٢٧) بالجوالة ، وينظر القزويني أنه كان  
جوالة مشهوراً جاب البلاد وشاهد عجائبها (٢٨) ، وأنه كان سياح زار  
البلاد ، وأخبر بعجائبها (٢٩) .

(٢٧) ٣٤٦/١ الفهرست .

(٢٨) ٢٦٧/٢ آثار البلاد .

(٢٩) ٩٧ عجائب المخلوقات .

ويذكر كذلك الفنويني بلاد بيهى وعجائبها وهى من بلاد الترك ، ثم يقول : أخبر بهذه كلها ، أعنى بلاد الترك وقبائلها ، مصر ، فإنه كان سياحة رأها كلها (٣٠) .

وما كتبه أبو دلف عن سياحاته ورحلاته يشهد له الباحثون من المستشرقين بالدقة والصدق والواقع ، وإن كان ياقوت الحموي يقول عنه : إنه كان يحكى عنه الكذب (٣١) ، ويعنى بذلك أن رحلاته كان بعضها من نسج الخيال ، وتكتل لنا بالرد على هذا الاتهام كراتشوفسكي وسواء من المستشرقين ، وسيأتي كلامهم .

ولقد كان أبو دلف أحد الباحثين المعدودين الذين مكثتهم وحدة الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري من القيام برحلات خطيرة ، على جانب كبير من الأهمية .

فمع أن العالم الإسلامي في عصر أبي دلف ، وهو القرن الرابع الهجري ، كان مقسما إلى دول كثيرة ، استلبت عن خلافة بغداد ، وترك التبعية السياسية للخلفاء العباسيين ، إلا أنه كان موحد العقيدة واللغة والثقافة والحضارة ، خاضعاً للتأثير الإسلامي وحده ، ومن ثم كان في امكان أبي دلف أن يحرب البلاد ، وإن يسير في للملك الإسلامية ، للبحث والكشف والتنقيب ، لا يحده حد ، ولا يفله قيد ، ولا يحول بينه وبين نعمة العلم حائل .

وقد ألف أبو دلف «رسالة الأولى» وتحتوى على رحلته غرب الصين والهند التي قام بها عام ٩٤٢ م ٢٢١ م ، وقد قام المستشرق الألماني دور صوير عام ١٩٣٩ بتحقيقها ، ويبين أن أبي دلف جمع مكانتها من الذاكرة بعد قيامه برحلته هذه بمدة تطول أو تقصر ، وتتضمن لرسالة إلى جانلا صدقها الكثير من المعلومات التقريبية والخيالية عن هذه البلاد الواسعة ، التي ساح فيها .

---

(٣٠) ٨٥٩ المرجع السابق .

(٣١) ٣٢٦/٥ معجم البلدان لياقوت .

وفي مقدمة هذه الرسالة يقول أبو دلف (٢٢) :

« أني لما رأيتكما يا سيدى - اطـال الله بـقـاءكـمـا - لهجـينـ بالـتـصـنـيفـ ، مـولـعـينـ بـالـذـلـيلـ ، أـحـبـتـ أـنـ لـاـ أـخـلـىـ دـسـتـورـكـمـا ، وـقـانـونـ حـكـمـكـمـا ، مـنـ فـائـدـةـ وـقـعـتـ إـلـىـ مـاـشـاهـدـتـهـ ، وـأـعـجـوبـةـ رـمـتـ بـىـ الـأـيـامـ إـلـيـهاـ ، لـيـرـوـقـ مـعـنـىـ مـاـ تـعـلـمـانـهـ السـمـعـ ، وـيـمـسـيـوـ إـلـىـ اـسـتـيقـافـ قـرـامـتـهـ الـفـلـبـ ، فـرـأـيـتـ مـعـاـونـتـكـمـا ، لـمـاـ وـشـجـ بـيـنـنـاـ مـنـ الـأـخـاءـ ، وـتـوـكـدـ مـنـ الـمـوـدـةـ وـالـصـفـاءـ » .

والظاهر - كما أرجح - أنه يخاطب أحد المتوكه المعااصريين والصاحب بن عباد ، وأنه حين كتب هذه الرسالة أهدى منها نسخة إلى هذا ، وأخرى إلى ذاك ، وهذا يدل على أنه كتبها بعد عهد طسويل من قيامه بالرحلة .

وقد كتب كثير من المستشرقين روایات طويلة عن هذه الرسالة :

درسها وستنفلد عام ١٨٤٢ ، وسلونز عام ١٨٤٤ وطبعها وترجمها إلى الألمانية ، وشاركة في ذلك المستشرق فراين في « مجموعة الرجال والنوصوص الجغرافية التي نشرها عن الشرق الأقصى » .

وألقى المستشرق الروسي غريغورييف عام ١٨٧٦ بحثا عنها في المؤتمر الدولي الثالث عشر للمستشرقين المنعقد في بطرسبurg .

ودرسها رونز ، وساركفارت ( ١٩٠٣ ) ، ووضع خط رحلة أبي دلف إلى الصين .

و كذلك فعل بارتولد ، ومينورسكي ( ١٧٦٧ ) الذي قال عنها : أن في الرحلة من الواقع بعضها حقيقي ، وبعضها من نسج الخيال ، وفي وصف أبي دلف لرحلاته - كما يقول مينورسكي - خلط وتعقيد .

شديدان ، وأن كان يعد خلاصة للمعارف الجغرافية آنذاك عن الصين والهند ، ويشكك أخيراً هذا المستشرق في حدوث رحلات أبي دلف .

ويرد عليه كراشنرفسكى في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » (٣٣) مؤكداً أن رحلة أبي دلف إلى الصين واقعة حقيقة لا شك فيها ، ويؤكد حدوثها روايات ابن النفديم في كتابة « الفهرست » عن أبي دلف (٣٤) . بل أن الرجل لم يترك أدنى شك لدى خبير بالموضوع مثل قيرايين (١٩١٢) .

ويؤكد رور صوير ( ١٩٣٩ ) أنه لا أساس للقول بأن الرحلة من نسج الخيال ، إذ أن بعض التفاصيل المتعلقة بها وجدت دلائل على صحتها في سفارات متاخرة ، مثل سفارة شاهرخ ، كما أكد الباحثون دقة ملاحظات أبي دلف في محيط الظواهر الطبيعية والتاريخية وفي وصفه لمشاهده عامة .

وفي هذه الرحلة يذكر ابن دلف الأواني الصينية وأنها كانت مفضلة في الأسواق ، وأن الخزف الصيني كان يقلد في بعض البلدان ، ولا سيما في مليبار وإيران .

وفيما بين عام ٢٢١ - ٢٤١ هـ : ٩٤٢ - ٩٥٢ م ، زار أبو دلف بتشجيع من الصاحب الوزير على ما أظن وكما أشار إلى ذلك الشعالي في « اليتيمة » ، امكناً مختلفة في إيران وأسيا الوسطى في حماية الوالي على سistan من قبل أبي محمد بن أحمد ( ٢٢١ - ٣٥٢ : ٩٤٢ - ٩٦٢ ) وألف أبو دلف في وصف هذه الرحلة ومشاهد منها عبر Арmenia وأندريجان وإيران رسائلة سماها « الرسالة الثانية » ، ويقول في مقدمتها على طريقته نفسها في مقدمة الرسالة الأولى .

« جردت لكما ، يا من أنا عبدكما ، أدام الله لكما العز والتاييد ،

---

(٣٣) ص ١٨٩ من الكتاب .

(٣٤) ٣٤٦ و ٣٤٧ الفهرست : ٢٥٠ و ٢٥١ الفهرست أيضاً .

والقدرة والتمكن ، جملة من سفرى من بخارى الى الصين ، ورجوعى منها على الهند ، وذكرت بعض أعاجيب ما دخلته من بلدانها ، وسلكته من قبائلها ، ورأيت الان تجريد رسالة ثانية ، تجمع عامة ما شاهدته وتحيط بأكثر ما عاينته . ليتفق به المعتبرون ، ويتدرب به أولو العزة والطمأنينة ، ويثق به رأى من عجز عن سياحة الأرض » (٢٥) .

واللذان يوجههما أبو دلف اليهما في هذه الرسالة هما اللذان وجه إليهما الرسالة الأولى ، كما يبدو من هذه المقدمة الموجزة الصغيرة .

ولهذه الرسالة الثانية في وصف رحلته في أواسط آسيا أهمية كبيرة ، كما سنذكر بعد قليل .

وتبدأ وقائع هذه الرحلة التي تسجلها الرسالة الثانية من مدينة « الشيز » في جنوبى أذربيجان لتشمل أماكن كثيرة في خراسان وإيران والقوقالز وأرمينية . ومن هنا كانت الرسالة الثانية من المصادر العربية القيمة ذات الفائدة الكبيرة للتاريخ العام والتاريخ الجغرافي والجيولوجى والأثري لهذه البلاد ، وهى إلى جانب هذا تحتوى على كثير من الأشياء الطريفة ، والشاهدات العجيبة ، والنسوادر الغريبة ، وببعضها مما يثير العقول .

وتتميز هذه الرسالة بتركيز شديد ، ودقة متناهية وموضوعية غريبة ، كما تتميز بمعادتها العلمية القيمة التي تتضمنها في عداد المصادر الأولى للتاريخ العام والجغرافي لآسيا الوسطى . وتحتوى على معلومات جلية متعلقة بالمصادر النفطية فى باكستان ، وعن المعادن المقيدة فى أرمينية ، وأبو دلف أحد الرحالة الأوائل الذين تحدثوا عن استخراج النفط فى باكستان ، وما أروع ما كتبه عن معدنيات وطواحين تقليص ،

---

(٢٥) ٣٠ و ٢٩ الرسالة الثانية طبع القاهرة ، نشر عالم الكتب - مطبعة مخيم . وقد وردت كلمة ثانية ، في الرسالة ( ص ٢٩ ) محرفة إلى كلمة « شافية » وهي خطأ .

ولا يستغنى عن دراستها مؤرخ أو جغرافي أو جيولوجي ، وفيها يذكر أبو دلف أكثر من أربعين موضعًا يوجد فيها المعادن ، وأماكن أخرى فيها آثار للغرس أو للساسانيين .

ولقد حق مينورسكي هذه الرسالة ، وطبعت بمصر عام ١٩٥٠ في ٣١ صفحة بالنص العربي + ١٣٦ صفحة الترجمة الانجليزية والدراسة .

ثم طبعت في موسكو بتحقيق خالدوف ويلغاركوف عام ١٩٦٦ .

وطبع تعليقهما في القاهرة بترجمة محمد منير موسى هام ١٩٩٦ م .

وفي عام ١٩٢٤ عشر في مدينة مشهد الايرانية على مخطوطة تشتمل على اربع رسائل :

- ١ - رسالة أبي دلف .
- ٢ - رسالة ابن فضلان .
- ٣ - رسالة في أخبار البلدان لابن الفقيه .
- ٤ - رسالة أخرى .

وأصبح لهذه المخطوطة أهمية كبيرة في تراث أبي دلف ، وفي تاريخ البحث العلمي الجغرافي القديم .

ورسالة أبي دلف في مخطوطة مشهد تشتمل على رسالتين الأولى والثانية وقد ذكرت على أنهما كتاب واحد .

ويبدو أن هذا الكتاب كان قديماً يسمى « عجائب البلدان » كما نقلنا عن القزويني وياقوت ، وذكره بهذا الاسم كذلك بروكلمان .

وأبو دلف في رحلاته يعني عناية شديدة بذكر أماكن المعادن والآثار ، وطالما يقف أمام الأشياء وقفة تأمل للوصول إلى دخائلها .

ومن أهمية البحث الجغرافي الذي قام به أبو دلف أنه عرض  
لمدينة الشيز ، وهي بين المراغة وزنجان وشهر نور ، وتوجد الآن  
في وادي ساركوتز في الاتحاد السوفييتي . ومن وصف أبي دلف لهذه  
المدينة : أمكن للعلماء الروس تحديدها واستخراج آثار تحت سليمان  
من تحت طبقاتها الأرضية . ومن مثل تحقيقاته العلمية ما ذكره في  
صعوده إلى قمة جبل ديكاؤند في فارس ودخوله كهفًا في هذا  
الجبل ورصد له ظاهرة وجود نار مشتعلة فيه (٣٦) .

ويذكر أبو دلف أنه سار في مغارة خوارزم ، ورأى بها آثارا  
كثيرة لجماعة من ملوك العرب والعجم ، ويتحدث عن انحساف بعض  
قرابها تحت الأرض بمنحو مائة قامة .

ويشكك بعض الباحثين في وصول أبي دلف إلى خوارزم بدعوى  
أن معلوماته عن هذه البلاد عامة ضحلة ، ولكن ذلك لا يقف حجة  
لهذا الشك .

وبعد فقد كان أبو دلف ابن ينسع ، من أعظم الرحاليين  
الجغرافيين المسلمين ، الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري . وقد  
ذلت رسالته أعظم اهتمام في عالم الاستشراق ، وأولاد المستشرقون  
كثيراً من العناية والدراسة والبحث .

و عمل أبي دلف في ميدان الرحلة متعدد : فهو يظهر لنا في  
صورة الرحالة الوصف للجغرافية الأقليمية القديمة .

كما يظهر في صورة الجغرافي المتمكن ، والكثير من النقب ،  
والجيولوجي الدقيق العالم بطبقات الأرض وضخورها ، مما يرفع  
من منزلته بين العلماء .

ويظهر لنا كذلك في صورة الطبيب الذي يعلم أماكن المصبات  
الطبيعية التي تلائم طبيعة المرضى والتي تساعدهم على الشفاء .

ويصدق عليه ما قاله المسعودي عن نفسه : « قطعنا بلاد السند  
والزنج ، والصين والزائج ، فتارة بأقصى خراسان ، وتارة بأواسط  
أرمينية وأذربيجان » (٣٧) .

وقد عاش أبو دلف عالم ينبع وأديبها وشاعرها في عصر ازدهار  
الشعر ونضاته في القرن الرابع الهجري .

وشهر - أول ما شهر ابن ينبع - بالشاعر ، فقصد به ملوك  
الساسانيين ووزرائهم يمدحهم ، وينشد فيهم القصائد الطوال ، ثم  
ذهب إلى البوهيميين ، ملوكهم بوزرائهم ، فمدحهم بقصائد الجبار .

ومن الأسف أن شعر أبي دلف أو ديوانه يعد مفقودا حتى اليوم ،  
ولا نعرف له إلا القليل جدا من شعره ، مما سجله الشعالي في  
« اليتيمة » ، ومن أهم ما حفظه الشعالي لنا من هذا التراث الشعري  
قصيدة أبي دلف - أرأيتها الساسانية .

## الفصل الرابع

### أبو دلف في كتابات الباحثين - عصره - صور من حياته

#### أبو دلف في كتابات الباحثين :

أبو دلف شاعر عربي كبير ، مجهول شأنه ، مغمور تاريخه ، لم يذكره إلا القلة من المؤلفين القدماء ، ونسبيه المحدثون نسيانا تماماً .

وهو من الجزيرة العربية ، من ينبع عاش القرن الرابع الهجري كله أو جله ، يجوب البلاد ، ويمدح الملوك ، وينادم الأمراء والوزراء، تراه مطوفاً في كل مكان من بخارى إلى الصين والهند ، ومن فارس إلى أرمينية وأذربيجان وطبرستان ، ويبلاد الأكراد ، ويصف كل ما شاهده ، ويذرون كل ما يلاحظه ، في دقة تامة ، وعناية بالتفاصيل ، مما اذهل أواستشرين ، فكتبوا عنه جغرافياً من الطراز الأول ، ومن أشهر الرحالة في القرن الرابع .

وأبو دلف من هذا الجانب مصدر أصيل لكل الجغرافيين المسلمين ، الذين آتوا بعده ، ومن بينهم : ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » ، والقزويني في كتابيه : « عجائب المخلوقات » و « آثار البلاد » .

والمصدر العربي القديم الذي ترجم لأبي دلف شاعراً ترجمة أدبية ، ليس فيها شيء من التفصيل عن حياته ، هو كتاب « پتبمسة للدھر » لأبي منصور الشعالي شيخ الأدباء في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري ( المتوفى عام ٤٢٩ هـ ) ، فقد ذكره الشعالي في الباب السادس الذي خصه بالشعراء الطارئين من الآفاق على الوزير الصاحب بن عباس ، وقال عنه :

« أبو دلف الخزرجي اليزيدي ، مسرور بن مهلل ، شاعر كثير

الملح والظرف ، مشحود المدية في الجدية ، خنق التسعين في الاطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعب في خدمة العلوم والأداب » ، ويستمر الشعالبي في الحديث عن أبي دلف ، فيقول : « كان ينتاب - يقصد - حضرة الصاحب بأسبهان ، ويكثر المقام عنده ، ويتنزد كتبه - أى رسائله التي تتضمن الترصية - في أسفاره » .

ويشير الشعالبي إلى معركة الهجاء التي دارت بين أبي دلف والشاعر السلامي (٣٦ - ٣٩٤ هـ) .

ويذكر شعراً لأبي دلف ، وقصيدته الساسانية الطويلة(١) .

وفي موضع آخر من اليتيمة يقول الشعالبي عنه : وكان بحضوره الصاحب شيخ يكفي بأبي دلف مسغر بن مهلل الينبغي ، يشعر ويقطب ويتنجم ويحسد المسلمي على منزلته(٢) .

ويشير الشعالبي إلى أبي دلف في بعض كتبه الأخرى اشارات عابرة ، مثل كتابه « لطائف المعارف » .

ونجد نقولا جغرافية كثيرة عنه في : « عجائب المخلوقات » و « آثار البلاد »(٣) ، وهو للقزويني ، وفي « معجم البلدان » ليماقوت الذي يشير إلى أبي دلف في ٣٤ اقتباساً ، ودراسات كراتشوفسكى تذكر ٢٤ اقتباساً لا يذكر فيها ياقوت اسم أبي دلف .

وفي دائرة المعارف الإسلامية في مادة « مسغر » ترجمة له تبين

(١) راجع ٣ : ٢٥٢ وما بعدها يتيمة الدهر . للشعالبي - بتحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد .

(٢) ٢ : ٤٠٠ يتيمة الدهر .

(٣) في كتاب « آثار البلاد » يوجد ٢٤ اقتباساً من « الرسالة الثانية » لـ أبي دلف » وان كان لا يشير إلى أبي دلف الا في سبع منها ، وفي عجائب المخلوقات توجد كذلك اشارات كثيرة له ، وأربع اقتباسات دون اشارة إلى اسمه .

الكثير من دراسات المستشرقين عن رحالة كيبراء ، وجغرافيها  
مشهوراً (٤) .

وتجيء اشارات صغيرة عنه في كتاب « بلاد ينبع » للشيخ محمد  
الجاسر (٥) .

وفى كتاب الأعلام للزرکلى ترجمة لأبي دلف فى عدة سطور  
ومما جاء فيها عنه : شاغر رحالة ، وكان يكنى بالرحالة الحجازى ،  
قام برحلة ممتعة الى الشرق الأقصى ، وكتب ما شاهده فى تلك الديار  
فى كتاب ضخم ، نقله المستشرقون عنه الى مختلف اللغات الأوروبية ،  
تجاوز التسعين من عمره توفى نحو عام ٣٩٠ هـ (٦) .

ويلاحظ الشيخ محمد الجاسر على الترجمة أمرین :

الأول أن الزركلى نسبه الى ينبع البحر ، وهو من ينبع النخل .

والثانى قوله : في « كتاب ضخم » ٠٠ ويقول العلامة الجاسر :  
انه ليس مجلداً ضخماً بل رسالة ، وقد حققها المستشرق مينورسكي  
وطبعت في مصر سنة ١٩٥٥ في ٢١ صفحة والنص العربي والترجمة  
الإنجليزية والدراسة في ١٣٦ صفحة .

وكلام العلامة الجاسر صحيح في أنه ليس كتاباً ضخماً بل رسالة ،  
وأما قوله : « إن الرسالة حققها المستشرق مينورسكي الخ » ، فذلك ليس  
عن رسالة أبي دلف في وصف رحلته الى الشرق الأقصى ، وهي التي  
تسمى بالرسالة الأولى ، بل رسالة أبي دلف في وصف رحلته في أميدا  
الوسطى وهي التي تسمى الرسالة الثانية .

(٤) راجع الطبيعة الانجليزية الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية  
وقد ترجم النص الانجليزى لهذا البحث الاستاذ وديع فلسطين - الطبعة  
العربية لم تصل الى هذه المادة .

(٥) ١١٧ و ١٤٥ بلاد ينبع .

(٦) ٨ : ١٠٩ الأعلام للزرکلى .

والرسالة الأولى لابن دلف عن بتحقيقها اومنشرون الالسانى  
رور صوير .

أما الرسالة الثانية فعن بتحقيقها المشرلون الروس ، فدرسها  
المشتشرق كراتشوفسكي ، ومينورسكي ، وحققها مينورسكي ، ثم خالدوف  
ويولغاكوف معا في نصها العربي ، وهم مدرسان بجامعة ليننجراد .

عصر أبي دلف :

عاش أبو دلف في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ٠٠  
وشاهد كل أحداث هذا القرن وغراييه ، بما ساد فيه من حضارة وازدهار  
للمعلوم والآداب ، وبما ساده من تطورات فكرية وسياسية كبيرة ، كان  
في مقدمتها : انتهاء نفوذ الخلافة العباسية ، باستيلاء البوهيميين على  
بغداد عام ٣٢٤ هـ ، وقيام الدول المستقلة عن الخلافة في أنحاء العالم  
الإسلامي الذي كانت من قبل تجمعه رابطة سياسية واحدة ، ومن  
هذه الدول :

- ١ - الدولة الأشورية بمصر والشام (٢٢٣ - ٣٥٨ هـ) .
- ٢ - الدولة الفاطمية بمصر والشام أيضا (٢٥٩ - ٥٦٧ هـ) .
- ٣ - والحمدانية بحلب والموصل (٣١٧ - ٤٩٤ هـ) .
- ٤ - والسامانية في تركستان ، وعاصمتها بخارى (٢٧١ - ٣٨٩ هـ) .
- ٥ - والزيارية في طبرستان ، ومن ملوكها الشاعر الأمير قابوس  
ابن وشمكير (٣٦٦ - ٤٠٣ هـ) .
- ٦ - والغزنوية في غزنة والهند ، ومن أشهر أمرائها السلطات  
محمود الغزنوي (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) .

٧ - دولة سجستان ومن أشهر أمرائها خلف بن أحمد ، وهو من أحفاد المليث<sup>(٧)</sup> بن الصفار ، وامتدت هذه الدولة من عام ٢٥٤ هـ حتى عام ٣٩٠ هـ .

٧ - الدولة العلوية في طبرستان ، ويذكر أبو دلف طائفة من ملوكها حتى عصره<sup>(٨)</sup> (٢٥٠ - ٣٦٢ هـ) .

وقد أثرت الاضطرابات والحروب بين هذه الدول في القرن الرابع الهجري في أحوال البلاد الإسلامية والمسلمين .  
نشأة أبي دلف الأولى :

لا نعلم شيئاً عن حياة أبي دلف الأولى ونشأته . وبلا ريب قد تثقف ثقافة واسعة - وشب عربياً كريماً عزيز النفس ذو شخصية قوية مهيبة مرحمة ، في وسامة ولطف . وكانت ينبع النخل آنذاك مركزاً من مراكز العلم والأدب والشعر ، وصار أبو دلف شاعراً ، وعرف كذلك طبيباً ومنجماً ، وليست « ساسانيته » بمناقضة لعزة نفسه ، فقد كانت ساسانية وفكاهة وأدب وطوفاف بالأفاق .

وفجأة ينبو بآبى دلف وطنه ، وتسيير به الحيساة إلى الأمير الساماني نصر بن أحمد (٢٠١ - ٣٢١ هـ : ٩١٤ - ٩٤٢ م) ، فيحتل عنده منزلة عالية في دولته ، وقد يكون الشعر أو الطب بدء صلتنه بالامير ، ومهما كان ، فقد صار أبو دلف شاعر الأمير وذديمه ، وصار كذلك سفيره في كثير من المهام الرسمية . كما سنرى ذلك في الفصل التالي .

---

(٧) ١٨٨ : ذيل تجذارب الأمم لمسكويه .

(٨) ٨٣ و ٨٤ الرسالة الثانية لأبي دلف ، - نشر عالم الكتب بالقاهرة .



## الفصل الخامس

### أبو دلف في ضلال السامانيين

- ١ -

السامانيون<sup>(١)</sup> أسرة فارسية كبيرة لعبت دوراً خطيراً في القرن الثالث الهجري حتى تألّق أميرها نصر الساماني (عام ٢٦١ هـ) في عهد الخليفة المعتمد على الله استقللاً ذاتياً، وظل يحكم بلاده من عاصمته سمرقند حتى وفاته سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م وخلفه من ذريته :

١ - اسماعيل الساماني (٢٧٩ - ٢٩٥ هـ) .

٢ - احمد بن اسماعيل (٢٩٥ - ٣٠١ هـ : ٩٠٧ - ٩١٤ م) .

٣ - نصر بن احمد الساماني (٣٠١ - ٣٢١ هـ : ٩١٤ - ٩٤٣ م)، وهو الذي عاش في ظلّه أبو دلف، ولا نعرف شيئاً عن الظروف التي قادته إلى بلاط هذا الأمير، ولا مقدمات صلته به . وفي عهد هذا الأمير الساماني كانت الدولة السامانية قد بلغت أوج عزتها ونروءة مجدها .

٤ - نوح بن نصر (٣٣١ - ٣٤٣ هـ : ٩٤٣ - ٩٥٤ م) .

٥ - إلى ملوك آخرين طار صيتها في العالم الإسلامي ، ومنهم : نصر بن نوح الساماني (٣٤٣ - ٣٧٦ هـ) ، ونوح بن منصور (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) .

وكان بخارى قد صارت عاصمة السامانيين ، وأصبحت تزخر بالآدباء والعلماء والشعراء والحكماء .

---

(١) راجع ١١ : ٧٦ - ٨٢ دائرة المعارف الإسلامية .

وكان الجيهانى (٢) أبو عبد الله محمد بن أهتم بن نصر وزيرا للسامانيين (توفي عام ٢٣٠ هـ ٩٤١ م ) ، وكان يشجع الأدباء ، ويحتفى بالعلماء ، ولعله هو الذى احتضن أبا دلف ، أو اخذه كتابا له ، وعن طريقه توطدت صلته بالملك السامانى نصر بن أهتم .

- ٤ -

وفى عهد الملك نصر بن أهتم وفدى إلى بخارى وقد هندى برياسة الأمير الهندى كلاتلى فى سفارة هندية إلى بلاط الملك السامانى ، وانجز هذا الوفد مهمته ، وعنه عندهم إلى بلادهم يعت معه الملك شاعره أبا دلف ليكون مرافقا لهم .

وزار أبو دلف فى هذه الرحلة كشمير وكابل وسواحل ملبار ، ووصف ذلك كله فى كتاب ألفه بعنوان « عجائب البلدان » ، والظاهر أنه مجموع رسائله فى وصف رحلاته (٣) .

(٢) راجع عنه ٢١٩ - ٢٢٣ قارىء الأدب الجغرافي العربى لكراتشوفسكي ، وينقل القزوينى عن الجيهانى كثيرا فى المسالك والممالك الشرقية ( راجع كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى ) .  
وينسب هنا الوزير إلى جيهان أحدى مدن خراسان ، ويقول ياقوت عنه ( ٣ : ١٩٥ ) معجم البلدان : أنه كان أدبيا فاضلا . وقد ألف الجيهانى كتابا فى صورة العالم - أى فى الجغرافيا - بعنوان « المسالك فى معرفة المسالك » وذلك نحو عام ٢١٠ هـ ٩٢٢ ، وهو مفقود .  
والجيهانى هو الذى شجع أبا دلف وابن فضلان على أعمالهم الجغرافية .  
وهو الذى أغنى أبا زيد البلخى ( ٢٣٥ - ٢١٨ هـ ) الفلكى بالانتقال إلى بخارى ، وكان بين البلخى والجيهانى صلة وثيقة ، ولكن البلخى اعتذر له ، وألف البلخى كتابه « صورة الأقاليم عام ٢٠٨ هـ ٩٢٠ م » بتشجيع من الجيهانى . وفي مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت مخطوط بعنوان « ذكر المسافات وصورة الأقاليم لأبى زيد البلخى » وهو برقم ١٤ جغرافيا - ويدرك الاستاذ أحمد عبد التغور عطار أن نسبة هذا المخطوط إلى البلخى خطأ وأنه كتاب لأبى خرداذبة المطبوخ بعنوان « المسالك والمصالك » .  
(٣) كنت أظن أنه كتاب مستقبل مفقود ، ولكن أبا دلف يبدو أنه قسمه

وفي آخر حكم نصر بن أحمد الساماني وفده على بخارى كذلك وقد صينى ، ويقصى أبو دلف قصة هذا الوفد ، فيقول(٤) :

« ان رسول ملك الصين جاموا ليخطبوا ابنة الملك الساماني لملتهم ، فأبى نصر بن أحمد ذلك ، واستنكره ، لمعظم الشريعة له ، فلما أبى ذلك عرضوا عليه ان يزوج بعض ولده من ابنة ملك الصين ، فاجاب تى ذلك ، فاغتنمت قصد الصين معهم » .

وكان ذلك نحو عام ٩٤٢ هـ : وقد عبد أبو دلف موسى والوفد الصيني تركستان الغربية ، وتركستان الشرقية وبلاد التبت ، ودخل الصين من مدينة « مقام الباب » ، فوادي المقام ، فسند ابن العاصمة .. ويقول أبو دلف :

واقمت بسندابل العاصمة مدة ، المقى ملکھما فى الأھـائين ،  
فيفاوضنى فى أشياء ، ويسالنى عن أمور من أمور بلاد الإسلام ، ثم  
استاذنته عى الانصراف ، فاذن لي بعد أن أحسن إلى .. .

وغادر أبو دلف الصين إلى الهند حتى رجع إلى بلده عن طريق  
مسجستان(٦) .

---

الى رسالتين ، وذاعت كلمة الرسالة الأولى والرسالة الثانية بدلا عن الاسم الأصلي وهو - عجائب البلدان » ، وقد جرى على ذلك بروكلمان ، فلم يذكر الرسالة الأولى والثانية لأبى دلف ، وإنما ذكر مكانها كتاب - عجائب البلدان » .

(٤) ٥ : ٤٠٨ معجم البلدان لبياقوت .

(٥) ٥ : ٤١٤ معجم البلدان .. وفي مروج الذهب للمسعودي المورخ (ت ٣٤٦ هـ ) ج ١ صفحة ٣٤٩ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد : وقد رأيت ببلخ شيخا جميلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين موارا كثيرة ولم يركب البحر قط .. فهل يقصد المسعودي بذلك أبا دلف ؟

(٦) يروى أن الإسلام دخل الصين في عهد الخليفة عثمان وفي عصر أحد مؤوك آل تانغ يقال له : تائى جون ، ويقال أن الملك الصيني الذي

وزادت هذه الرحلة من مكانة أبي دلف في دولة السامانيين ،  
ومن منزلته في عصره ، وفي الحياة الإسلامية بصفة عامة .

وخلال حكم إمبراطور الصين « هوان تسونج » ٧١٢ - ٧٥٦ م  
وقعت فعلاً صدامات مسلحة بين الخلفاء العرب وهذا الإمبراطور في  
ثلاث مناسبات معروفة وكان أعنقها عام ١٣٤ هجرية وذلك في معركة  
« تالاس » التاريخية وفي هذه المعركة هزم الجيش الصيني بقيادة  
« كلوهسین » على يد الجيش العربي وسجلت هزيمة كبيرة في سلطة  
الإمبراطور « تانج » ، وسط آسيا وبذلت السيطرة العربية على هذا  
الجزء من العالم .

ويقرر التاريخ الصيني المخطوط في هذه المنطقة أن علاقات  
الصداقة قد عادت بعد ست سنوات بين الشعبين الصيني والعربي  
.. بل أن شعبنا العربي ساعد بالجنود العرب المسلمين بلاط تانج لاحياء  
عصيابان يقوده جنرال الصدود « آن لوشان » .

وأول من كتب عن الإسلام باللغة الصينية هو « تدهوان » الذي  
كان قد أسر في معركة « تالاس » ، ثم قضى نحو ١١ - ١٢ سنة وهو  
يتجلو في شبه الجزيرة العربية قبل أن يعود إلى مدينة « كانتون » ،  
مع قافلة تجارية وقد نقل هذا الأسير عدداً من الحرف الصناعية  
وكثيراً من الفنون .

وأن عدداً كبيراً من البعثات والتجارة والجنود العرب قد زاروا  
الصين خلال حكم تانج في القرن السابع ، وحتى القرن العاشر وهو

---

دخل الإسلام في بلاده في عهده هو « سوزون » من آل تانج أيضاً ، ويقال  
كذلك أن الإسلام دخل الصين في عصر الرسول عام ١٢٨ على يد صحابي هو  
ذهباب بن أبي كبشة ، بعثه الرسول إلى كائني هونغ من ملوك آل سوتى .

الزمن الذى دخل فيه الاسلام الى الصين .. وقد ظهرت آثار حول الاسلام والعرب فى هذه الفترة ولكنها قليلة جداً .

فهناك اللوحة الشهيرة النادرة التى تشير الى تاريخ بناء جامع شيان فى السنة ٧٤٢ لحكم منج ، والمعلومات الأكيدة تثبت بناء هذا المسجد فى القرن السادس عشر .

كما أن مئذنة مسجد برزنج، وكذلك القبر الملحق له والذى يقال أنه قبر « الوقاصل » من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، قد ثبت أنه بني أيام حكم « سونج » بالقرن العاشر إلى الثالث عشر ، كما أنه ليست هناك أية اشارة فى التاريخ الصينى الى هذا الموضوع .

ولكن هناك قول فى الصين يان مدافن الملائكة فى ليخسان بشوانشكو بمقاطعة فوكين والذى يطلق عليها القبور المقدسة للملائكة الرحمة وتنسب للملائكة الثالث والملائكة الرابع للذين أتيوا للصلة كما يقولون ، هنا خلل حكم تانج وقد وصفوهم بالملائكة لأنهم أول المسلمين فى هذه الديار .

ولكن هذه القبور فى الحقيقة هى قبور عربية لأولئك العرب الذين عاشوا أيام حكم سونج عندما كان العرب ينظرون إلى هذه المقاطعة ويسمونها مقاطعة الزيتون وهى أكبر مدينة فى العالم كما وصفها الرحالة العربى ابن بطوطه .

وقد اكتشف فى الأسابيع الماضية بمقدمة سيان الاسلامية ثلاثة قطع لعملة ذهبية عربية وهذه بقايا أصلية لهذا العصر الاسلامى فى المنطقة .. وقد فحصت هذه المقبرة والتى اكتشفت حديثاً عام ١٩٦٤ وحفرت عام ١٩٦٥ بواسطة لجنة الآثار الصينية .

وقد اتضح أن هذه المابر شبيهة بنفس المقابر الخاصة فى نفس الفترة من الزمن والتى عثر عليها فى مدينة سيان عاصمة الصين

قديما وقد بنيت قباب القبور من الطوب المربع الدائري ولها باب في الناحية الجنوبية يفتح على ممر له قبة يؤدى إلى منحدر .

وقد عثر داخل هذه القبور الحديثة على ثلاث قطع ذهبية وثلاث جرات فخارية وأنية من الخزف الصيني وعلى جانبي كل قطعة عملة توجد نقوش كتبت بالكافية .

ويقول الصينيون انه منذ ظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، فإنه قد نجح في أقل من عشرين عاما في النفاذ الى سوريا والعراق ومصر . وفي البداية لم يكن للحكام المسلمين عملتهم الخاصة بل كانوا يستخدمون عملات بيزنطية والعملة الساسانية في بلاد الفرس والتي كانت منتشرة حينئذ . ولكن سرعان ما بدأوا يصنّعون عملتهم وان حافظوا على الشكل القائم .

وقد تم انقلاب العملة في سنة ٧٧ مجرية « ٦٩٦ - ٦٩٧ ميلادية » ، حيث لم تعد ، وفق المنطق الاسلامي ، فهناك صور للببر أو الحيوانات على العملة .. وكانت النقوش مقتصرة على اقتباسات من القرآن . وقد تغيرت عملات كل البلدان الاسلامية بعد ذلك الى نفس النمط .. ويضيف رجال الآثار الصينيون قولهم :

ان هذه العملات لها أهمية خاصة ، لأنها أول عملات توجد في الصين للعصر الذهبي ، بل لأنها أول عملات اسلامية توجد في الصين . والعملات الاسلامية الأخرى التي وجدت في سينكيانج تعود إلى زمن متاخر جدا ، إلى القرن الحادى عشر ، بل أن أغلبها قد مك محلها على يد أهالى سينكيانج بعد أن اعتنقوا الاسلام .

وفى عام ١٩٢٨ اكتشف البرفيسور هوا هچ دين بي فى مقبرة تانج فى تورفان بمقاطعة سينكيانج عملة اسلامية قديمة .

وقد أطلعنا فى هذه المقاطعة الاسلامية على عادات وتقالييد اسلامية والحقيقة أن الأخلاق فى الصين كلها مفخرة من مفاخر الاسلام .

## الفصل السادس

### أبو دلف في ظلال البوهيين

- ١ -

تنقضى هذه المشاهد كلها ، ونرى ابن ينسع الكبير يعيش في ظلال دولة البوهيين ، ولا تدرى كيف كان ذلك ، ولا متى كان ؟

ترك أبو دلف بخارى والسامانيين إلى البوهيين ، وزيرهم الشهير ابن العميد ، ثم وزيرهم الكبير الصاحب بن عباس ، والى عاصمهم الكبرى يتنقل بينها : أصبحاً وارداً ، وبغداد ، وأصبح رفيق المكانة عند عضد الدولة الملك البوهى نفسه .

- ٢ -

و تاريخ البوهيين حاقد بالانتصارات الكبيرة ، فهذه الأسرة الفارسية<sup>(١)</sup> التي بسطت نفوذها على خراسان وفارس والعراق ، انتهى الأمر بزعيمها أحمد بن بوهيه إلى دخول بغداد في الحادى عشر من جمادى الأولى عام ٣٢٤ هـ في خلافة المستكفى بالله ، وأصبح بجوار الخليفة سلطاناً أو ملكاً على الشعوب الإسلامية ، ولقب « معز الدولة » (٣٢٤ - ٣٥٦ هـ) ، وخلفه ابنه عز الدولة (٣٥٦ - ٣٦٧ هـ) ، ثم عضد الدولة (٣٦٧ - ٣٧٣ هـ) ، وغيرهما من ملوك البوهيين .

واستبد البوهيون بالخلفاء استبداداً كبيراً ، فلهم الله والنفسون والسلطان .

(١) ينسب البوهيين أنفسهم إلى بهرام جور (٨ : ١٩٧ ابن الأثير) . وبهرام جور هو القيصر الساساني بهرام الخامس (٤٢٠ - ٣٤٨ م) . وأحمد معز الدولة ، والحسن ركن الدولة (٣٢٠ - ٣٦٦ هـ) ، وعلى عماد الدولة : حكم هؤلاء الأخوة الثلاثة العالم الإسلامي باسم الخليفة العباسى . وأقام معز الدولة في بغداد ، وركن الدولة في الرى ، وعماد الدولة في شيراز .

رسار الذى فى أيدى العباسين انما هو أمر دينى اعتقادى  
لا ملك دنوى كما يقول البيرونى ( ت عام ٤٤٠ هـ ) فى كتابه « الآثار  
الباقيه » (٢) ، وحتى صار الخليفة لا يأمن على نفسه وحياته من بطش  
البوهيين متى أرادوا .

خلعوا المستكفى بالله بن المكتفى ( ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ ) ، وولوا مكانه  
المطیع الله بن المقطر ( ٣٢٤ - ٣٧٢ هـ ) ثم خلعوه ومات بعد عام ،  
ولووا مكانه ابنه الطائع الله ( ٣٦٣ - ٢٨١ هـ ) ، وخلعوه وقبضوا عليه  
وعذبوه ولووا مكانه القادر بالله ( ٣٨١ - ٤٢٢ هـ ) ، فقسال فى ذلك  
الشريف الرضى :

امسيت أرحم من أصبحت أغبطة  
لقد تقارب بين العز والهون

ومنظر كان بالسراء يضحكنى  
يا قرب ما عاد بالضراء يبكىنى (٣)

ومن أشهر وزراء البوهيين وزيران :

أولهما : أبو الفضل محمد بن العميد ( ٣٠٠ - ٣٦٠ هـ ) وكان  
امام عصره فى الأدب والكتابة والبلاغة ، كما كان له مجده وهيمنته  
وسلطانه السياسى فى دولته البوهيين ، وكان وزيراً لركن الدولة البوهيني  
( ٩٢٠ - ٩٦٦ هـ : ١٩٧٦ - ٢٢٨ هـ ) وذلك من عام ٩٣٩ م .

وقد بدأ أبو دلف يتصل به ، والظاهر أنه أقبل عليه ثم أعرض  
عنه ، فهجاه أبو دلف ، ورد عليه ابن العميد ، مهدنا برسالة طريرة

(٢) ١١٣ : ٢ المرجع .

(٣) ٢ : ٨٦٧ ديوان الرضى ، ٣ : ٢٠٢ تجارب الأمم لمسكويه ، كتاب  
« الحياة الأدبية فى الأندلس والعصر العباسي الثانى » .

رواهـا أبو حيـان التـوحـيدـي فـى كـتابـه « مـثـالـبـ السـوـزـيـرـيـن »<sup>(٤)</sup> ،  
وـجـاءـ فـيـهـ :

« الـآنـ عـلـمـتـ أـيـهـ الشـيـخـ أـنـكـ لـىـ مـكـاـبـدـ ،ـ وـالـىـ جـمـيـعـ مـاـ أـنـهـاـكـ  
عـنـهـ مـخـالـفـ ،ـ وـغـلـىـ دـيـدـنـكـ الـعـرـوـفـ ثـابـتـ ،ـ وـبـفـضـلـهـ لـسـافـكـ  
مـسـحـورـ .ـ .ـ .ـ »

إـلـىـ أـنـ يـقـولـ أـبـنـ الـعـمـيـدـ :

« تـقاـعـسـتـ عـنـ بـلـاـ عـذـرـ ،ـ وـوـقـفـقـنـ بـيـنـ وـصـلـ وـهـجـرـ ،ـ فـلـمـ أـنـرـ  
كـيـفـ أـخـاطـبـ ؟ـ وـعـلـىـ مـاـذـاـ أـعـاتـبـ ؟ـ لـأـنـكـ مـشـهـورـ بـقـحـةـ ،ـ وـمـذـكـورـ  
بـسـلـاطـةـ ،ـ وـمـعـتـادـ لـلـبـهـتـ ،ـ وـجـارـ عـلـىـ الـكـذـبـ »

« وـأـوـلـ ذـلـكـ أـنـكـ تـدـعـيـ بـنـوـ مـحـمـدـ بـنـ زـكـرـيـاـ مـنـ نـاحـيـةـ اـبـنـهـ ،ـ  
وـلـدـ شـاهـدـتـ مـحـمـداـ وـمـاـ خـلـفـ بـنـتـاـ »

ثـمـ يـقـولـ أـبـنـ الـعـمـيـدـ فـيـ غـضـبـ ظـاهـرـ :

أـنـ فـيـ المـرـتـ خـلـاصـاـ مـنـكـ ،ـ وـمـفـارـقـةـ لـمـلـكـ ،ـ وـالـهـ مـاـ أـذـبـ الـحـسـنـ  
ظـنـيـ بـكـ ،ـ وـمـبـاهـاتـ أـهـلـ مـجـلـسـ بـفـضـلـكـ ،ـ وـقـولـيـ :ـ « أـبـوـ دـلـفـ ؟ـ  
لـاـ تـنـتـرـوـاـ إـلـىـ هـزـلـهـ ،ـ فـاـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ جـدـاـ ،ـ وـهـوـ الـرـءـ الـذـىـ قـهـ جـمـعـ  
الـلـهـ لـهـ بـيـنـ الـنـظـرـ وـالـخـبـرـ ،ـ وـبـيـنـ الدـعـوـيـ وـالـبـيـنـةـ ،ـ رـبـيـنـ الـقـسـوـلـ  
وـالـحـجـةـ ،ـ وـبـيـنـ الـضـمـانـ وـالـبـوـفـاءـ ،ـ وـبـيـنـ الصـدـاقـةـ وـالـشـفـقـةـ »

« فـعـاـ زـلـتـ أـقـسـوـلـ هـذـاـ وـشـبـهـ ،ـ وـأـصـحـابـيـ يـشـيـعـونـ قـوـلـيـ  
بـمـثـلـهـ فـيـ الـظـاهـرـ ،ـ وـيـخـالـفـونـيـ بـعـلـمـهـ فـيـ الـبـاطـنـ ،ـ حـتـىـ كـانـ الـفـلـجـ  
لـهـمـ سـاعـتـيـ هـذـهـ ،ـ لـأـنـ اـحـجـتـ إـلـىـ غـلـمـكـ فـخـيـتـ غـهـدـيـ ،ـ وـأـقـبـلـتـ  
عـلـيـكـ فـأـعـرـضـتـ عـنـيـ ،ـ وـوـهـبـتـ لـكـ كـلـيـ ،ـ فـبـخـلـتـ بـيـعـضـهـ عـلـىـ .ـ .ـ .ـ  
اسـتـفـدـتـ بـمـعـرـفـتـكـ تـجـنـبـ مـلـكـ .ـ .ـ .ـ »

---

(٤) ص ٢٨٩ - ٢٩٢ المـرـجـعـ المـذـكـورـ .

ويقول أبو حسان التوحيدي<sup>(٥)</sup> :

قلت لأبي دلف : ما اعجبته عن هذا الكلام ؟

قال : عملت شيئاً لم أجسر على اظهاره ، وخفت صولته ونكايته ،  
وشره وغائلته ..

وتوفي ابن العميد عام ٣٦٠ هـ وولى ابنه أبو الفتح منصب أبيه  
في عهد ركن الدولة ، ثم في عهد مؤيد الدولة الذي كان يؤثر تلميذ  
ابن العميد الصاحب بن عباد ويقدمه وانتهى الأمر بمقتل أبي الفتح  
الوزير عام ٣٦٧ هـ .

اما الوزير الثاني من وزراء البوهيميين الكبار : فهو الصاحب  
ابن عباد (٣٢٤ - ٢٨٥ هـ : ٩٢٦ - ٩٩٥ م) الوزير البوهيمي الكبير  
طيلة ثمانية عشر عاماً (٣٦٧ - ٢٨٥ ) .

وصار أبو دلف قريباً للنزلة من الصاحب<sup>(٦)</sup> ، يجلس في مجالسه  
في أصبهان والری متادماً ، ومادحاً ، وكان الصاحب نذرة الدهر ،  
وأعجوبة العصر<sup>(٧)</sup> ، وظل وزيراً مدى ثمانية عشر عاماً (٣٦٧ -  
٢٨٥ هـ) ، وكانت له خزانة كتب فيها نحو ربع مليون كتاب<sup>(٨)</sup> .

وقد احتف بالصاحب من تجزم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء  
الفضل ، وفريسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ،  
ولا يقتربون منهم في الأخذ برقباب القوافي ، وملك رق المعانى .  
فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلقاء والملوک مثل ما اجتمع بباب الرشيد

(٥) ٢٩٢ مثالب الوزراء .

(٦) راجع عنه : ٢٧٠ - ٢٦٨/٢ تاریخ الأدب العربي لبروكلمان - كتابی  
الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني - ١٣ : ٩٧ معجم الأدباء  
لياقوت .

(٧) ١ : ٧٥ وفيات الأعيان .

(٨) ١٣ : ٩٧ معجم الأدباء لياقوت .

من فحول الشعراء المذكورين ، وجمعت حضرة الصاحب بن عباس  
بأصبهان والری وجرجان مثل : أبی الحسن السلمی ، وأبی سعید  
الرستمی ، والبدیع الهمدانی ، والقاضی الجرجانی ، وأبی القاسم  
ابن أبی العلاء ، وأبی دلف ، والصاحب ، وسواهم ، من يطول ذكرهم  
كما يقول الثعالبی فی « يتیمة الدهر »<sup>(٩)</sup> .

ويذكر الثعالبی أبا دلف من شعراء الصاحب ومنادیه  
وجلسمه<sup>(١٠)</sup> .

ويقول : وكان بحضور الصاحب شیخ يكنی أبی داف مسرور بن  
مهلهل البینبی ، يشعر ويقطبب ويقتجم<sup>(١١)</sup> .

وكان الأدباء يجتمعون فی ظل الصاحب أمّنا وأهّنا لهم ، مما  
حل بالبلاد فی عهد البویهین من فقد مدقع ، فقد صارت العراق -  
کما يقول المقدسی - بیت الفتن والفساد<sup>(١٢)</sup> واحترف أكثر العلماء  
والأدباء صناعة الوراق ، كأبی حیان التوحیدی ( ٣٢٠ - ٤١٤ھ )  
وغيره .

واتعمل أبو دلف بعض الدوّلة<sup>(١٣)</sup> الملك البویهی فی بغداد ،  
وجلس فی مجالیسه شاعراً ومناسماً ، وتصور لنا القصة الآتية مکانة  
أبی دلف عند هذا الملل البویهی الكبير ، وقد روّاها الثعالبی فی كتابه  
*لطائف المعارف* ، :

(٩) ١٦٩/٣ اليتیمة .

(١٠) ٣ : ١٨٩ المرجع نفسه .

(١١) ٢ : ٤٠٠ المرجع .

(١٢) ١١٣ أحسن التقاسیم .

(١٣) من شعراء عضد الدوّلة : المتّبی ، والسلامی ، وغيرهما . ومن  
العلماء الذين كانت لهم منزلة عنده أبو على الفارسی الذي أهداه كتابه  
« الإیضاح » ( ٣ : ٦٨ ذیل تجارت الأمم لمسکویه ) .

جرت بين أبي على الهاشم وأبي دلف الخزرجي في مجلس أئم  
لبعض الدولة بشيراز مطابية ومداعبة - ومحاضرة ، ومذاكرة .

قال أبو على لأبي دلف :  
صب الله عليك طواعين الشام ، وحمي خير ، وطحال البحرين ،  
وسامييل الجزيرة ، وسنافر دهستان<sup>(١٤)</sup> ، وضرره بالعرق المدنى<sup>(١٥)</sup> ،  
والنار الفارسية ، والقرود البلخية .

قال له أبو دلف :  
يا مسكين ، أتقرا « تبت » على أبي لهب ، وتنقل التمر إلى هجر .

بل صب الله عليك : ثعابين مصر ، وفاغنى سجستان ، وعقاب  
شهرونور ، وجارات<sup>(١٦)</sup> الأهواز .  
وصب على ببرد اليمن ، وقصب مصر ، ودبابيج الروم ، وخنزير  
السموس ، وحرير الصين ، واكسيه فارس ، وحلل أصبهان ، وعمائم  
الأبلة ، وسقلاطون<sup>(١٧)</sup> يفداد ، وسنجب<sup>(١٨)</sup> خسر خير<sup>(١٩)</sup> ،  
وسمور<sup>(٢٠)</sup> بلغار ، وثعالب الخزر<sup>(٢١)</sup> ، وفنك<sup>(٣٢)</sup> كاشغر ،  
وفاقم<sup>(٢٢)</sup> التعز غز ، وحوابل<sup>(٢٤)</sup> هرارا ، وتتك<sup>(٢٤)</sup> ، وجوارب  
قزوين .

---

(١٤) السنقر والستنقر : طائر من الجوارح أعظم من الصقر وأجمل منه .  
ودهستان : بلد مشهور قرب خوارزم وجرجان .

(١٥) مرض يصيب الإنسان ، ينبع إلى المدينة ، لكثرة فيها .

(١٦) نوع من الحشرات .

(١٧) ثياب من الحرير موشاة بالذهب .

(١٨) حيوان تصنع منه الفراء .

(١٩) موضع ينبع إليه جنس من الترك .

(٢٠) دابة يتخذ من جلدتها فراء ثمينة .

(٢١) قبائل على سواحل بحر الخزر ( قزوين ) .

(٢٢) ثعلب صغير .

(٢٣) حيوان فروه من أخفم الفراء .

(٢٤) الجلود تلبس للتدافئة .

(٢٥) ربطة السراويل .

وأقرشنى : بسط أرمينية ، وزلالى قاليقلا ، ومطارح(٢٦) ميسان ،  
وحصر بغداد .

وأخذمنى : خصان الروم ، وغلمان الترك ، وسراري بخارى ،  
ووصائف سمرقند .

وحملنى على : عناق البادية ، ونجائب المجنان ، ويرانين  
طخارستان ، وحمير مصر ، وبفال برذعة .

ورذقنى : تقاص الشام ، ورطب العراق ، وعموز اليمن ، وجوز  
الهند ، وباقلاء الكيفية ، وسکر الأهواز ، وعسل اصبهان وتمر  
كرمان ، ودبس أرجان ، وتبين حلوان ، وعنب بغداد ، وعناب جران ،  
واجاص بست ، ورمان الرى وكمثري نهاؤند ، وسفرجن نيسابور ،  
ودشعش طوس ، وملبن مرو ، وبطيخ خوارزم .

وأشضنى : مسلئ بيت وعود الهند ، وغدير الشر ، وكافور  
فنصور(٢٧) وأترج طبرستان ، ونارنج البصرة ، ونرجس جران ،  
ونيلوفر السبيوان(٢٨) وورد جور ، منثور بغداد ، وزعفران قم(٢٩) .

فأعجب عضد الدولة بكلام أبي دلف ، ووفور حظه من طوائفه  
بالشرق والغرب ، ووقوفه على خصائص البلدان في كل مكان من العالم  
الإسلامي .. ولم يملك إلا أن صاح بملء فيه بهذه العبارة العجيبة  
التي لم يقلها ملك في أحد من الأدباء أو الرعية ، قال عضد الدولة  
في تعجب ظاهر :

« الله درك يا أبي دلف » (٣٠)

(٢٦) بسط .

(٢٧) بلد قرب الصين .

(٢٨) بلد بالجبل .

(٢٩) ٢٣٩ - لطائف المعارف للتعالبى - بتحقيق الآبيارى والصيرفى .

(٣٠) المرجع السابق .

ملك يا أبا دلف ينادم الملوك ،

وأمر له بخلعة وصلة حسنه .

وتعلل هذه القصة على ما يلى :

١ - كثرة طواف أبي دلف بالعالم الإسلامي ، ووقوفه على خصائص كل مصر من أمصاره ، ويلد من بلداه .

٢ - حضور بديهته ، ووفرة أدبه .

٣ - ما كان يتمتع به من منزلة رفيعة عند عضد الدولة .

٤ - وفرة حظه بين منادمة الملوك وحسن مجالستهم .

وقوفي عضد الدولة عام ٣٧٣ هـ ثم توفي بعده بزمن ليس بطويل وزيره الصاحب ، وذلك عام ٣٨٥ هـ .

## وفاة أبي دلف

تقادفت الأيام بأبي دلف ، وشهدت نهاية صديقه الصالحب وعهد الدولة ، ومرت به السنوات ، من فقر لغنى ، ومن غنى لفقر ، ولم يجد كريماً كأملك السماوي ولا كالصاحب الوزير ، ولا كعهد الدولة البويهى .

ورأى الحياة من حوله لم تعد تحتفى بالآدب ، ولا تعير الآباء جانبها من رعايتها .

روشاد نتائج رحلاته وطوافه بالبلاد ، وتدوينه للأرجاء ،  
تصبح وكأنها ليست شيئاً مذكوراً .

وتذكر زملاءه الشعراء : المتبنى ، السلمي ، القاضى الجرجانى ،  
وابا سعيد الرستمى ، والبستى .

وأقرانه من الآباء والكتاب : الخوارزمى البديع الهمذانى ،  
الصابى ، الصاحب ، ابن العميد .

وقد طوت كل هؤلاء الأيام ، ومضت بهم الحياة إلى مصيرها  
المحتوم .

فأسلم نفسه للمقادير ، إلى أن لقى ربه نحو عام ٣٩١ هـ -  
١٠٠١ م كما أرجح ، أو عام ٣٩٠ هـ كما ذكر الزركلى فى « الأعلام » ،  
والعلامة حمد الجاسر فى كتابه « بلاد ينبع » نقلًا عن « الأعلام » .



## الباب الثالث

رحلات أبي دلف



## الفصل الأول

### الرحالة المسلمون قبل أبي دلف

اتسع نطاق الرحلات عند المسلمين اتساعاً كبيراً ، بتأثير الحج والتجارة ، والرغبة في نشر الإسلام ، ولطلب العلم ولقاء العلماء ، ولاقتناء الكنوز العلمية والاقتصادية ، وللقياسم ببعض المهام السياسية ، حيث كان ملوك وأمراء المسلمين يوفدون الرسل والسفراء إلى مختلف أنحاء العالم .

ومنذ خلافة أبي بكر الصديق نجد عبادة بن الصامت ، وهشام ابن العاص ، ونعيم بن عبد الله ، يذهبون إلى القدسية في رسالة من الخليفة أبي بكر إلى ملك الروم يدعوه فيها إلى الإسلام ، ويقول عبادة بن الصامت : وأقبلنا حتى أخذنا تحت غرفة هرقل ، فقلنا : لا إله إلا الله والله أكبر ، والله يعلم أنه انتفض بيقه حتى ظهر هو وأصحابه أنه سيسقط عليهم .. ثم دعاهم قيسار ليلاً وعرض عليهم صندوقاً فيه صور الأنبياء من آدم إلى محمد عليه السلام (١) .

ولما لقيوا قيسار رسالهم : ما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا إله إلا الله والله أكبر ، فالله يعلم أنه انتفض بيقه حتى ظهر هو وأصحابه أنه سيسقط عليهم .. ثم دعاهم قيسار ليلاً وعرض عليهم صندوقاً فيه صور الأنبياء من آدم إلى محمد عليه السلام (٢) .

واستمرت الرحلات السياسية خلال العصور ، فنجد عمارة ابن حمزة يحمل رساله من المنصور إلى ملك الروم (٣) .

ومن الرحلات المشهورة رحلة سلام الترجمان إلى سور الصين

(١) راجع من ١٤١ - ١٤٣ مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه .

(٢) راجع ١٣٧ و ١٣٨ المرجع السابق .

الشمالى بأمر الخليفة العباسى الراشق بالله ( ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ : ٨٤٢ )  
و ( ٨٤٧ م )

ثم رحلة سليمان السيرافي ، وقد زار الهند والصين مرارا ،  
وكتب وصف رحلته عام ٢٣٧ هـ - ٨٥١ م ، ولهذا الرصف نيل الفه  
فى القرن الرابع الهجرى مؤلف رحالة من سيراف اسمه أبو زيد حسن ،  
رقد نشر هذه الرحالة المستشرق رينسو عام ١٨٤٥ م ، وسليمان  
انسيرافى أول رحالة مسلم يشير إلى الشاي الذى يشربه الصينيون  
كثيرا ، ويسمونه « ساج » .

ولم يقم بعده ابن وهب القرشى برحلة إلى الصين نحو عام  
٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م

وفى كتاب « المسالك والممالك » لابن خردانة أن بعض التجار  
المسلمين وصلوا إلى كزريا .

وفى أوائل القرن الرابع الهجرى نجد أحمد بن فضلان يقوم  
عام ٩٢١ هـ / ٢٠٩ م برحلة إلى بلاد البلغار ، وهم الشعب الذى أسس  
مى بداية العصور الوسطى دولتين : أقدمهما فى حوض القولجا  
الوسطى ( وهو نهر اتل كما تسميه المصادر الإسلامية ) ، أما  
الآخر ففى حوض نهر الطونة .

وقد زاد ابن فضلان الأولى (٢) على نهر الغولبا ، وينذكر  
ابن رسته فى كتابه « الأعلاق النفيسة » الذى ألفه نحو عام ٢٩١ هـ / ٩٠٢  
م أن أكثر هؤلاء البلغار كانوا ينتحدون الإسلام ، بينما تذكر  
رحلة ابن فضلان أنهم لم يدخلوا فى الإسلام إلا قبيل الرحالة بأعوام .

(٢) تطلق كلمة بلغار على الشعب ، وعلى البلاد ، وعلى عاصمتها التى  
كانت تقع شرقى نهر القولجا ولا يزال بعض آثارها قائمة على مقربة من مدينة  
قازان الحالية على نحو ستة كيلو مترات من شاطئ القولجا الأيسر .

وقد ذهب ابن فضلان مع وفد بعث به الخليفة المقتدر بالله العباسى عام ٣٠٩ هـ الى ملك البلغار لتعليم شعبه شعائر الاسلام .

وقد خرج الوفد من بغداد فى الحادى عشر من صفر عام ٣٠٩ هـ/الحادى والعشرين من يونيو عام ٩٢١ م ، وساروا الى بخارى خوارزم فببلاد البلغار ، فوصلوها فى الثانى عشر من المحرم عام ٣١٠ هـ/الثانى عشر من مايو عام ٩٢٢ م .

وقد أدت هذه البعثة مهمتها ، ولما عادوا الى بغداد ، كتب ابن فضلان رحلته التى تعرف برحلة ابن فضلان ، ويبدو ان ما كتبه هو الذى قدمه الى الخليفة العباسى المقتدر بالله .

وقد نقل ياقوت الحموى جزءا من رحلته فى مادة : اتل ،  
وبلغار ، وخرز ، وخوارزم .

ونشرت الرحلة فى روسيا عام ١٨٢٢ ، وأفاد منها بروتولد الروسي فى الدراسة التى كتبها عن البلغار فى دائرة المعارف الاسلامية ، ثم عبد الوهاب عزام فى دراستين له عن البلغار المسلمين .

وفى عام ١٩٢٤ عثر العالم التركى احمد زكى الوليدى فى مشهد على مخطوطة نفيسة احتوت على أربعة كتب ، منها رحلة ابن دلف ، ورحلة ابن فضلان .

وهذه الرحلة تعد أقدم وصف كتب لجزء من بلاد روسيا ، ولا يعرف حاللة سبق ابن فضلان اليها . ويصف فى رحلته حفل دفن زعيم روسى ، وقد رسم أحد الرسامين الروس منذ مائة عام هذا المنظر اعتمادا على وصف ابن فضلان ، وزين بهذا الرسم أحد جدارن المتحف التاريخى فى موسكو .

ومن زار بلاد البلغار بعد ابن فضلان : أبو حامد الغرناتى

الأندلسى صاحب كتاب « تحفة الأدباء ونخبة الاعجائب » عام ٥٢٠ / ٥  
١١٣٥ م ٠

وقد تحدث المسعودي ( ت ٢٤٦ هـ - ٩٥٧ م ) في الجزء الأول من كتابه « مروج الذهب » عن البلغار ٠٠ وقد سقطت مملكة البلغار بهائيا عام ١٢٣٦ م ، وخرب الروس بلادهم عام ١٢٩٩ م كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية ( ٩٩/٤ ) ٠

ومن نتائج هذه الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمين على مختلف الأجيال معرفتهم من الصينيين للبر المغناطيسية ، وقد أخذها الغرب عن المسلمين في الحرب الصليبية الثانية ٠

ومن نتائجها تدوينهم لكتير من المعارف الغنية في تاريخ هذه البلاد وجغرافيتها القديمة التي لم يكتب عنها أحد قبل الرحالة المسلمين ، ولا كتب عنها بعدهم أحد من الأوروبيين الا بعد أجيال طوال (٤) ٠

---

(٤) راجع : تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي ، الرحالة العرب لنقولا ايادة ، والرحالة المسلمين لزكى محمد حسن ، وأدب الرحالة لشوقى ضيف من سلسلات دار المعارف المصرية عن فنون الأدب العربي ، تاريخ التمدن الاملامي لزيidan ، وتاريخ الحضارة الاسلامية لبارتوند ، وحديث السندياد القديم لحسين فوزى ، والجغرافيا والرحلات عند العرب لنقولا زيادة ، ودائرة المعارف الإسلامية في مادة رحلات ، رحلة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامي الدهان ( المتوفى في أغسطس ١٩٧١ ) وهي من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ٠

## الفصل الثاني

### جهود أبي دلف في ميدان الرحلات

١ - يحتل أبو دلف منزلة بارزة بين الرحالة المسلمين والجغرافيين العرب على مرور الأيام .

ويعد من أشهر الرحالة المسلمين في القرن الرابع الهجري ، وقد بهر العالم بما قام به من رحلات ، وما كتبه عن مشاهداته وأوصافه للبلاد التي رحل إليها وطاف بها .. وقد حفظ لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » ، ويناقشون في « عجائب المخلوقات » ، و « آثار البلاد » مقطفات كبيرة من وصف أبي دلف للبلاد التي جابها ، والأسفار التي قام بها رحلتنا العالى المسلم أبو دلف في القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى ، في أنحاء كثيرة من العالم ، المعروف آنذاك : الهند والصين ، وأسيا الوسطى ، وهى الأسفار والرحلات التي طار ذكرها ، رشهر أمرها بين الناس فى عصر أبي دلف وبعد عصره حتى اليوم ، والتي نال أبو دلف بها فى حياته مجدًا كبيرا ، قاده إلى قصور الملوك والوزراء والأمراء ، ونال بها بعد وفاته مجدًا تليدا خالدا فيما كتبه عنه أعلام المستشرقين من كتابات ، وما حفلت به دوائر الاستشراق عن رحلاته من معلومات ، وما سجل عنه فى دوائر المعارف من عجائب الكشفوف « الجغرافية » .

يصفه ابن النديم<sup>(١)</sup> بالجوالة ، ويذكر القزويني أنه كان جوالة مشهوراً جاب البلاد وشاهد عجائبها<sup>(٢)</sup> ، وأنه كان سياحاً زار البلاد ، رأى غير عجائبها<sup>(٣)</sup> .

(١) ٣٤٦/١ الفهرست .

(٢) ٢٦٧/٢ آثار البلاد .

(٣) ٩٧ عجائب المخلوقات .

ويذكر كذلك القزويني بلاد بهى وعجائبها وهى من بلاد الترك ، ثم ينزل : أخبر بهذه كلها ، أعني بلاد الترك وقبائلها ، مسرع ، فإنه كان سياحة رأها كلها (٤) .

وما كتبه أبو دلف عن سياحاته ورحلاته يشهد له الباحثون من المستشرقين بالدقابة والصدق والواقع ، وإن كان ياقوت الحموي يقول عنه : إنه كان يحكى عنه الكذب (٥) ، ويعنى بذلك أن رحلاته كان بعضها من نسج الخيال ، وقد تكفل لنا بالرد على هذا الاتهام كراتشوفسكي وسواء من المستشرقين ، وسيأتي كلامهم .

ولقد كان ابن دلف أحد الباحثين المعدودين الذين مكتبه وحدة الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري من القيام برحلات خطيرة ، على جانب كبير من الأهمية .

فمع أن العالم الإسلامي في عصر ابن دلف ، وهو القرن الرابع الهجري ، كان مقسماً إلى دويل كثيرة ، استقلت عن خلافة بغداد ، وترك التبعية السياسية للخلفاء العباسيين ، إلا أنه كان موحد العقيدة وللنفع والثقافة والحضارة ، خاضعاً للتأثير الإسلامي وحده ، ومن ثم كان في امكان ابن دلف أن يجوب البلاد ، وأن يسير في الممالك الإسلامية ، للبحث والكشف والتنقيب ، لا يحده حد ، ولا يغله قيد ، ولا يحول بيته وبين ذئمه العلمي حائل .

٢ - وقد ألف أبو دلف « الرسالة الأولى » وتحترن على رحلته عبد الصين والهند التي قام بها عام ٢٢١ هـ ٩٤٢ م ، وقد قام المستشرق الألماني رود صوير عام ١٩٣٩ بتحقيقها ، ويبدو أن أبو دلف جمع مادتها من الذاكرة بعد قيامه برحلته هذه بمدة تطول أو تقصير ، وتتضمن الرسالة إلى جانب صدقها الكثير من المعلومات التقريبية والخيالية عن هذه البلاد الواسعة ، التي ساح فيها .

(٤) ٥٨٩ المرجع السابق .

(٥) ٣٢٦/٥ معجم البلدان لياقوت .

وفي مقدمة هذه الرسالة يقول أبو دلف<sup>(٦)</sup> :

« أنت لما رأيتكما يا سيدى ، أطل الله بقاءكم ، لهجين بالتصنيف ،  
مولعين بالتأليف ، أحببتكما ، لا أخلى دستوركما ، وقانون حكمتكما ،  
من فائدة رقت إلى مشاهدتها ، وأعجوبة رمت بي الآيات إليها ، ليروق  
معنى ما تعلمانه السمع ، ويصبو إلى استيقاء قراءته القلب ، فرأيت  
معاونتكما ، لما وشج بينيا من الاخاء ، وتوشك من المودة والصفاء » .

والظاهر - كما أرجح - أنه يخاطب أحد المستشرقين المسلمين  
والصاحب بن عبد ، وأنه حين كتب هذه الرسالة أهدى منها نسخة  
إلى هذا ، وأخرى إلى ذاك وهذا يدل على أنه كتبها سعد عهد  
طويل من قيامه بالرحلة .

وقد كتب كثير من المستشرقين روایات طويلة عن هذه الرسالة :

درسها وستنفرد عام ١٨٤٢ ، وسلوزر عام ١٨٤٤ وطبعها وترجمها  
إلى الألمانية ، وشاركه في ذلك المستشرق فرلين في « مجموعة الرحلات  
والنصوص الجغرافية » التي نشرها عن الشرق الأقصى .

وألقى المستشرق الروسي غريغورييف عام ١٨٧٦ بحثا عنها في  
المؤتمر الدولي الثالث عشر للمستشرقين المنعقد في بطرسبرج .

ودرسها روزن ، وماركفارت ( ١٩٠٣ ) ، ووضح خط رحلة  
أبي دلف إلى الصين .

وكذلك فعل بارتولد ، ومينزرسكي ( ١٩٦٧ ) الذي قال عنها :  
أن في الرحلة سلسلة مية الواقع بعضها حقيقي ، وبعضها من نسخ  
الخيال ، وفي وصف أبي دلف لرحلاته - كما يقول مينزرسكي - خلط  
وتعقيد شديدان ، وإن كان يعد خلاصة للمعارف الجغرافية آنذاك

عن الصين والهند . ويشكك أخيراً هذا المستشرق في حدوث رحلات  
أبي دلف .

ويرد عليه كراتشوفسكي في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي  
العربي » (٧) مؤكداً أن رحلة أبي دلف إلى الصين واقعة حقيقة لا شك  
فيها ، ويؤكد حذرثها روايات ابن السديم في كتابه « الفهرست » عن  
أبي دلف (٨) . بل إن الرجل لم يترك أدنى شك لدى ذي خبر بالموضوع  
مثل فيران (٩١٣) .

ويؤكد بور صوير (١٩٣٩) أنه لا أساس للقول بأن الرحلة من  
سعي الخيال ، إذ أن بعض التفاصيل المتعلقة بهما وجدت دلائل على  
صحتها في سفارات متأخرة ، مثل سفارة شاهرخ ، كما أكد الباحثون  
دقة ملاحظات أبي دلف في محيط الظواهر الطبيعية والتاريخية ، وفي  
وصفه لشاهد عصامة .

وفي هذه الرحلة يذكر أبو دلف الأوانى الصينية وأنها كانت  
مفضلة في الأسواق ، وأن الخزف الصيني كان يقلد في بعض البلدان ،  
ولا سيما في ملبار وايران .

٣ - وفيما بين عام ٢٢١ - ٣٤١ هـ - ٩٥٢ - ٩٤٢ م ، زار أبو دلف  
بتشجيع من الصاحب الوزير على ما أظن وكما أشار إلى ذلك التعالبى  
في « الديتيمة » ، أماكن مختلفة في ايران وأسيا الوسطى في حماية  
السؤال على سيسستان من قبل أبي محمد بن أحمد (٤٢١ - ٢٥٢ :  
٩٤٢ - ٩٦٢ م) وألف أبو دلف في وصف هذه الرحلة ومشاهده فيها  
عبر أرمينية وأندیجان وايران رسالتا سماها « الرسالة الثانية » ،  
ويقول في مقدمتها على طريقته نفسها في مقدمة الرسالة الأولى :

« جردت لكما ، يا من أنا عبد كما ، أدام الله لكم العز والتأييد ،

(٧) ص ١٨٩ من الكتاب .

(٨) ٣٤٦ و ٣٤٧ الفهرست ٣٥٠ و ٣٥١ الفهرست أيضاً .

والقدرة والتمكين ، جملة من سفرى من بخارى الى الصين ، ورجوعى منها على الهند ، وذكرت بعض أغاچيپ ما دخلته من بلدانها ، وسلكته من قبائلها ، ورأيت الان تجريد رسالة ثانية ، تجمع عامة ما شاهدته وتحيط بأكثر ما عاينته ، لينتفع به «العقلبرون» ، ويتدرب به أولو العزة والطمانينة ، ويثقف به رأى من عجز عن سياحة الأرض <sup>(٩)</sup> .

واللذان يوجه هنا أبو دلف اليهما هذه الرسالة هما اللذان وجه اليهما الرسالة الأولى ، كما يبدو من هذه المقدمة الموجزة الصغيرة .

ولهذه الرسالة الثانية في وصف رحلته في أواسط آسيا أهمية كبيرة ، كما سنذكر بعد قليل .

وتبدأ وقائع هذه الرحلة التي تسجلها الرسالة الثانية من مدينة «الشمز» في جنوب آذربيجان ، وتمتد لتشمل أماكن كثيرة في خراسان وأيران والقوقاز وأرمينية ، ومن هنا كانت الرسالة الثانية من المصادر العربية القيمة ذات الفائدة الكبيرة للتاريخ العام ، والتاريخ الجغرافي والجيولوجي والأثرى لهذه البلاد ، وهي إلى جانب هذا تحتوى على كثير من الأشياء الطريفة ، والمشاهدات العجيبة ، والتسوادر الغريبة ، وبعضها مما يحير العقول <sup>(١٠)</sup> .

وتتميز هذه الرسالة بتركيز شديد ، ودقة متناهية ، وموضوعية غريبة ، كما تتميز بمادتها العلمية القيمة التي تضعها في عداد المصادر الأولى للتاريخ العام والجغرافي لآسيا الوسطى . وتحتوى على معلومات جليلة متعلقة بالمصادر النفطية في باكو ، وبالمعادن المفيدة

(٩) ٢٩ و ٣٠ الرسالة الثانية طبع القاهرة نشر عالم الكتب - مطبعة مخيم وقد وردت كلمة ثانية ، في الرسالة ( من ٢٩ ) محرفة إلى كلمة «شافية» ، وهو خطأ .

(١٠) من ٣ مقدمة الرسالة الثانية .

في أرمينية ، وأبو دلف أحد الرحالة الأزائل الذين ذُحدشوا عن استخراج النفط في باكو ، وما أروع ما كتبه عن معدنيات وطواحين تفليس(١١) ، ولا يستعنى عن دراستها مؤرخ أو جغرافي أو جيولوجي ، وفيها يذكر أبو دلف أكثر من أربعين مريضاً يوجد فيها المعادن ، وأماكن أخرى فيها آثار للفرس أو للسمانيين .

ولقد حقق مينورسكي هذه الرسالة ، وطبع بمصر عام ١٩٥٠ م في ٢١ صفحة النص العربي + ١٣٦ صفحة الترجمة الانجليزية والدراسة .

ثم طبعت في موسكو بتحقيق خالدوف وبيلقاركوف عام ١٩٦٦ م .

وطبع تحقيقهما في القاهرة بترجمة محمد متير موسى عام ١٩٦٦ م .

وفي عام ١٩٢٤ عشر في مدينة مشهد الإيرانية على مخطوطة تشتمل على أربع رسائل :

- ١ - رسالة أبي دلف .
- ٢ - رسالة ابن فضلان .
- ٣ - رسالة في أخبار البلدان لابن الفقيه .
- ٤ - رسالة أخرى .

وأصبح لهذه المخطوطة أهمية كبيرة في تراث أبي دلف ، وفي تاريخ البحث العلمي الجغرافي القديم .

ورسالة أبي دلف في مخطوطة مشهد تشتمل على رسالتيه الأولى والثانية وقد ذكرتا على أنهما كتاب واحد .

ويبدو أن هذا الكتاب كان قديماً يسمى عجائب البلدان كما نقلنا عن القزويني وياقوت ، وذكرها بهذا الاسم كذلك بروكلمان .

---

(١١) ص ٢٢ مقدمة الرسالة الثانية .

٤ - وأبو دلف في رحلاته يعني عنابة شديدة بذكر أماكن المعادن والآثار ، وطالما يقف أمام الأشياء موقف العالم المدقق الحكيم المجرب الذي يحاول فهم الأشياء والوصول إلى دخائلها .

ومن أهمية البحث الجغرافي الذي قام به أبو دلف أنه عرض لمدينة الشيز ، وهي بين المراغة وزنجان وشهرزور وتوجد الآن في وادي ساركينز في الانحدار السوفيفيتي .. ومن وصف أبي دلف لهذه المدينة : أمكن للعلماء الروس تحديدها واستخراج آثار تحت سليمان من تحت طبقاتها الأرضية . ومن مثل تحقيقاته العلمية ما ذكره في صعوده إلى قمة جبل دباوند في فارس ودخوله كهفًا في هذا الجبل ورصده لظاهرة وجود نار مشتعلة فيه (١٢) .

ويذكر أبو دلف أنه سار في مارة خوارزم ، ورأى بها آثاراً كثيرة لجماعة من ملوك العرب والعجم ، ويتحدث ، عن انخفاض بعض قراها تحت الأرض بنحو مائة قامة

ويشكك بعض الباحثين في وصول أبي دلف إلى خوارزم بدعوى أن معلوماته عن هذه البلاد عامة ضحلة ، ولكن ذلك لا يقف حجة لهذا الشك .

وبعد فقد كان أبو دلف ابن ينبع ، من أعظم الرحاليين الجغرافيين المسلمين ، الذي ظهروا في القرن الرابع الهجري . وقد نالت رسالته اهتمام في عالم الاستشراق ، وأولاده المستشرقون كثيراً من العناية والدراسة والبحث .

و عمل أبي دلف في ميدان الرحلة متعدد : فهو يظهر لنا في صورة الرحالة الوصاف للجغرافية الإقليمية القديمة .

كما يظهر في صورة الجغرافي المتمكن ، والأثرى المنكب ،

والجيولوجي الدقيق العالم بطبقات الأرض وصخورها مما يرفع من منزلته بين العلماء .

ويظهر لنا كذلك في صورة الطبيب الذي يعلم أماكن المصحة الطبيعية التي تلائم طبيعة المرضى والتي تساعدهم على الشفاء .

ويصدق عليه ما قاله المسعودي عن نفسه : « قطعنا بلاد السند والزنج ، والصين والرائج ، فتارة باقصى خراسان ، وتارة بأوسط أرمينية وأذربيجان » (١٣) .

وقد كتب الأستاذ يحيى ساعاتي مقالاً في مجلة المنهل السعودية آسيا الوسطى جاء فيه ما يلى :

للعرب في آسيا الوسطى تاريخ طويل ، يبدأ بسنة ٤٦ هجرية عندما وصل إلى مشارف تلك المنطقة الربيع بن الحارث ، ثم كانت حملة عبيد الله بن زياد سنة ٥٠ للجهة الذي افتتح بعض مدتها ومن بينها مدينة بيكند ، جاء بعد ذلك سعيد بن عثمان بن عذان على رأس حملة توسيع في قتوحاتها ، وأخيراً كانت حملة قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٦ هجرية التي توغلت في المنطقة حتى بلغت حدود الصين ، ونزل الجندي العرب في مدن آسيا الوسطى مثل بخارى وسمرقند وفرغانة . وكان للعرب في مدينة بخارى أحيا خصبة بهم « فمن حيث تدخل من بباب العطارين إلى باب نون لريبيعة ومضر ، والباقي لأهل اليمين .. فإذا عبرت بباب بنى سعد فهناك باب بنى أسد » (١٤) . ومع الزمن توالت هجرات العرب إلى آسيا الوسطى كما أنها كانت ملجاً للفارين . ولذوى المطامع السياسية منهم .. وقد اندمج معظم أولئك العرب في أهل البلاد الأصليين ولكنهم ظلوا يحتفظون بأنسابهم ، وظل أهالى تلك المناطق يكتنون لهم احتراماً وتقديراً . وكان العرب الذين ينتسبون إلى بعض الصحابة ، وخاصة إلى أبي بكر وعمر وعلى من غير فاطمة

(١٣) مقدمة الجزء الأول من مروج الذهب للمسعودي ( ت ٣٤٦ ه ) .

(١٤) النرشخى ٨٠ و ٨٢ .

يطلق عليهم لقب « خواجه » (١٥) أما الذين ينتسبون إلى الحسين بن على فكان يطلق عليهم « خواجكان جويباري » (١٦) أى الانراف ٠

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء بعض مشاهير عرب آسية الوسطى ، والذين قاموا بدور بارز في أحداث المنطقة .. منهم ، « الخواجة أحمد بن ابراهيم الجيموي » المتوفى سنة ٥٦٢ هجرية ، وهو من أحفاد محمد ابن على بن أبي طالب (١٧) ويعد من رواد الأدب التركي ومن أشهر المتصوفة الأتراك ، وهو من الذين نشروا الإسلام بين بدو الأتراك في سهوب تركستان ، ويعد بيوان « حكمت المنسوب إليه من أكثر الكتب تداولاً بين أبناء المنطقة وقد ظل البدو في سهوب آسيا الوسطى يعظمون « اليسون » ومثلهم الأزيك والغرغيز (١٨) ٠

ومنهم أحمد بن العباس بن الحسن بن عياض ، وهو من نسل سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي . ويعد من كبار فقهاء الحنفية، وكان يقطن سمرقند ، وقد استشهد في معركة مع كفار الترك في شمال تركستان (١٩) ٠

ومنهم أيضاً ناصر الدين عبد الله بن محمود بن شهاب الدين الشاشي السمرقندى المعروف بـ « خواجه أحمر » وهو أحد رؤساء الطريقة النقشبندية ، وقام بدور كبير في الحياة السياسية على عهد التيموريين ، وهو من أحفاد عمر بن الخطاب (٢٠) ٠

وقد اندرج أبناء الذين سبق ذكرهم وأمثالهم من العرب في الأتراك أو الفرس وهم يعدون هناك ما يربطهم بالعرب غير وثائق أنسابهم ٠

(١٥) دائرة المعارف الإسلامية ٤٦٨/٨ ٠

(١٦) هامش تاريخ بخارى للفرشخى ٠

(١٧) لسترنج ٥٢٩ ٠

(١٨) فامبرى ، ٢٩٨ ٠

(١٩) اللكتسوى ، ١٨ ٠

(٢٠) المصدر السابق ، ١٢٠ ٠

وفي العصر الحديث كانت مفاجأة لكثير من الباحثين عندما توصل بعض المستشرقين إلى وجود بقايا من العرب يقيمون حول بخارى وفرغانة ، وقصاربها يكلمون بلهجات عربية تمت بصلة قربي إلى لهجة العراق ، وشبه الجزيرة العربية ، وقد قدر « أرمانيوس فاجدى » عددهم بـ ٦٠ ألف عربي(٢١) وفي الاحصائيات السوفياتية الرسمية لعام ١٩٢٦ كان عددهم ٢٨٧٨٧ ، وفي احصائيات عام ١٩٣٩ كان عددهم ٢١٧٩٣(٢٢) ، وفي الاحصاء الرسمي لسنة ١٩٥١ الميلادية انخفض عددهم إلى ٩٠٠ (٢٣) ، وجمعهم احمد طعلت ٢٠ ألف عربي يعيشون في ازبكستان(٢٤) .

وقد اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الذي جاء فيه هؤلاء العرب إلى آسيا الوسطى فذهب بعضهم إلى أنهم حاولوا مع تيمور لنك ، وقال آخرون : أنهم من بقايا الفاتحين العرب الذين جمعوا مع قتيبة ابن سلم الباهلي . وينذكر نجدة صفوة : « إن المعلومات التي استقامت نتيجة التحقيقات مع سكان المنطقة تحمل على الظن بأن القبائل العربية الموجدة في آسيا الوسطى قد انتقلت إليها من أفغانستان في موجات متعددة قبل فترة تتراوح بين مائتين وثلاثمائة سنة(٢٥) »

وقد أقام العرب في بداية الأمر حول بخارى ثم تفرقوا منها فنزلوا حول سمرقند ، وفرغانة وقاشاوريا ، وهم يقطنون اليوم في قرى منها « عرب ، وعريخانة ، وغريهيار ، وغريب ، قشلاق ، وعرب مزار »(٢٦) .

ولعرب آسيا الوسطى لهجة عربية خاصة بهم تختلف عن اللهجات العربية في تركيب الجمل ، وفي دخول كلمات أعممية كثيرة فيها ، من

(٢١) صفوة ، العرب في الاتحاد السوفييتي ، العربي ، ١٢٤ .

(٢٢) الفكر العربي ع ٨ .

(٢٣) بيهم ، العرب في آسيا الوسطى ، مجلة المعرفة ، ٥٥ .

(٢٤) المسلمين في روسيا ، ٨١ .

(٢٥) العرب في الاتحاد السوفييتي ، العربي ، ١٢٤ .

(٢٦) المصدر السابق .

نماذجها : « كان ما كان ، قد حكىما كان . وقد ولد كان عنده (٢٧) .

ويذكر الباحثون أن لهجة عرب بخارى تختلف كلية عن لهجة قاشقاوريا بحيث لا يستطيع العربى الذى يقيم حول بخارى التخاطب مع العربى الذى يقيم حول قاشقاوريا والمؤسف فى الأمر أن هذه اللهجات دونت بالحروف اللاتينية . وذلك مما يساعد بينها وبين اللهجات العربية ، وبذلك تصبيع لغة مستقلة تنتهى باصلها الى العربية مثلها فى ذلك مثل اللغة اوـ الطيبة المتفرعة عن العربية .

\* \* \*

وقد اهتم المستشرقون بهؤلاء العرب ويظهر هذا الاهتمام فى الدراسات العديدة التى وضعوها والتى منها :

- العرب فى الاتحاد السوفياتى لسرتللى .
- اللهجة العربية فى الشرق السوفيتى ليوشمانوف .
- الخطوط الرئيسية لتطور الأدب العربى فى آسيا الوسطى لبيليسايف .
- تاريخ عرب آسيا الوسطى لفولين (٢٨) .
- لهجات العرب فى آسيا الوسطى لفينيكوف .
- العرب فى آسيا الوسطى لفينيكوف .
- عرب آسيا الوسطى لفينيكوف .
- المرأة وحفظ التقاليد الثقافية عند عرب آسيا الوسطى لفينيكوف .

---

(٢٧) الغول ، العربى ، ٦ .

(٢٨) العرب فى الاتحاد السوفيتى ، العربى ، ١٢٤ .

نماذجها : « كان ما كان ، قد حكىما كان . وقد ولد كان عنده (٢٧) »

ويذكر الباحثون أن لهجة عرب بخارى تختلف كلياً عن لهجة قاشقاوريا بحيث لا يستطيع العربى الذى يقيم حول بخارى التخاطب مع العربى الذى يقيم حول قاشقاوريا والمؤلف فى الأمر أن هذه اللهجات دونت بالحروف اللاتينية .. وذلك مما يباعد بينها وبين اللهجات العربية ، وبذلك تصبح لغة مستقلة تتبعها بأصلها الى العربية مثلها في ذلك مثل اللغة او الطيبة المتفرعة عن العربية .

\* \* \*

وقد اهتم المستشرقون بهؤلاء العرب ويظهر هذا الاهتمام في الدراسات العديدة التي وضعوها والتي منها :

- العرب في الاتحاد السوفياتي لتسرتلى .
- اللهجة العربية في الشرق السوفيتي لبيوشمانوف .
- الخطوط الرئيسية لتطور الأدب العربي في آسيا الوسطى لبيليسييف .
- تاريخ عرب آسيا الوسطى لفولين (٢٨) .
- لهجات العرب في آسيا الوسطى لفينيكوف .
- العرب في آسيا الوسطى لفينيكوف .
- عرب آسيا الوسطى لفينيكوف .
- المرأة وحفظ التقاليد الثقافية عند عرب آسيا الوسطى لفينيكوف .

(٢٧) الغول ، العربى ، ٦ .

(٢٨) العرب في الاتحاد السوفياتي ، العربى ، ١٢٤ .

- تقاليد عرب بخارى لفينيكوف .
  - نماذج من تقاليد عرب بخارى لفينيكوف .
  - نقليات عرب آسية الوسطى لفينيكوف (٢٩) .
  - الثقافة العربية في آسية الوسطى لرسالة .
  - مواد لدراسة اللهجات العربية في آسية الوسطى لرسالة .
  - وصف لغة عرب آسية الوسطى لرسالة .
  - اللهجات العربية وقواعدها في أواسط آسية مع أمثلة عليها لرسالة ، وهو يتكون من أربعة مجلدات .
    - الاول : نصوص في لغة عرب بخارى وترجمتها .
    - الثاني : نصوص في لغة كشidar وترجمتها .
    - الثالث : قاموس للمجلدين .
  - الرابع : البحث في لغة عرب آسية الوسطى (٣٠) .
- والمؤسف أن جميع هذه الدراسات كتبت بلغات أجنبية ، ولم يترجم منها أي شيء إلى العربية .
- أما الدراسات التي كتبها الباحثون العرب فهي قليلة من بينها المقالات التالية :
- عرب عن العرب منقطعون لمحمود الغول نشره بمجلة العربي سنة ١٩٥٩ م .

---

(٢٩) عفيفي ، ٩٦٤/٣ .

(٣٠) المصدر السابق ، ٩٦٥/٣ ، ٩٦٦ .

- العرب في آسيا الوسطى لمحمد جعيل بيهم نشره بمجلة المعرفة  
سنة ١٩٦٦ م .

- العرب في الاتحاد السوفييتي لنجدة فتحى صفو نشر بمجلة  
العربي سنة ١٩٥٩ م .

كما ترجمت محاضرة تسلل المقاوماً في الندوة اللبنانيّة  
ببيروت سنة ١٩٥٦ م ونشرت بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق  
سنة ١٩٥٦ م .

## مراجع هذا الفصل

- بيه ، محمد جميل :  
العرب في آسيا الوسطى . المعرفة ع ٥٥ ، س ٥ ، ١٩٦٦ م .
- دائرة المعارف الإسلامية .
- طلعت ، أحمد :  
المسلمون في روسية . بيروت ، النشر للجامعة ، ١٩٥٨ م .
- صفوة ، نجده فتحي :  
العرب في الاتحاد السوفييتي ، العربي ، ع ١٢٤ ، ١٩٦٩ م .
- العقيقي ، نجيب :  
المستشرقون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ م .
- الغول ، محمود :  
عرب عن العرب منقطعون . العربي ع ٩ ، ١٩٥٩ م .
- فاجرى ، أرمينيوس :  
تاريخ بخارى ترجمة أحمد محمود المساداتى . القاهرة ، المؤسسة المصرية ، ١٩٦٥ م .
- لسترنج ، كى :  
بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،  
بغداد ، المجمع العلمي ١٩٥٤ م .
- اللكنوى ، عبد الحى :  
الفوائد البهية في ترجمة الحنفية مع التعليقات السنية . دهلى ،  
ندوة المعارف .
- الفكر العربي ع ٨ ، ١ ، ١٩٦٩ م .
- النرشخى ، أبو بكر محمد بن جعفر :  
تاريخ بخارى ترجمة أمين بدوى ، ونصر الله الطرازى . القاهرة ،  
دار المعارف ١٩٦٥ م .

# البائب الرابع

أبو دلف الأديب



## الفصل الأول

### أبو دلف كاتباً

أمامنا نصوص نثرية كثيرة لأبي دلف ، منها رسالته في وصف رحلاته عبر الصين والهند وأسيا الوسطى ، ومنها رسائل نثرية صغيرة .

وهذه النصوص تظهر لنا بوضوح شخصية أبي دلف الأدبية .

عنه كاتب عميق المعانى ، كثيد التجربة ، غظيم الخبرة ، دقيق الأفكار .

وهو إلى جانب ذلك سمع الأسلوب ، عذب اللفظ ، واضح الصياغة ، وضوح معانيه ، ليس في أدائه تعقيد ، أو اغراط أو تكلف أو حوشية ، أو معاظلة .

أسلوبه أقرب الأساليب إلى سماحة أسلوب الطيوبعين ، ووضوح أساليب المعاصرين ، كأنه أسلوب صحفي معاصر ، مطبوع على البيان الجيد ، متمنك من اللغة والبلاغة .

وقد كان أبو دلف يعيش في عصر المطبوعين على البيان ، وفي ذروتهم ابن العميد ، والصاحب ، والخوارزمي والبديع ، والصابى ، وأبو حيان ، غيرهم من أعلام البلاغة والكتابة والنشر الفنى .

أبو دلف يتخد من الرسالة مادة لعمله العلمي ، ويبعد عن قيود الصناعة البدعية وزخارفها ووشيتها ، مع التركيز الشديد في رسائله ، ومع الوصف الدقيق للأشياء التي يصفها .

ومقدمتا رسالتيه تمتازان بأسلوبهما البسيط السهل ، ومع ذلك فإن سعة ثقافة الرجل فرضت نفسها على كتابته ، فليس هناك كلمة

غريبة أو حرف قد جيء بها أو به لغير ما داع يتطلبه المعنى والغرض  
السوق له الكلام .

وأبو دلف قلما يعني بالحديث عن نفسه وتجاربه في كتاباته ،  
 فهو كتب موضوعي أكثر منه كتاباً وصفيما .

وهو جدير باهتمامنا ، وعن أيتنا وتقديرنا لعلمه وتعدد  
ثقافته ، وسعة جوانب شخصيته .

ويبدو أن اتصاله الوثيق بالمساسانية والساسانيين ، قد قرب  
أسلوبه من الواقع الحياة ، ومن حاجة العصر إلى الدراسات الطبيعية  
والطبية والعلجية والأثرية والجيولوجية ، وجعل جانب العلم أغلب  
عليه ، وأظهر على أدبه من جانب الخيال والعاظفة .

ومن العسير أن نفترض أنه لم يحي حياة الساسانيين ، فأدبه  
قطعة من صميم حياتهم ، وليس فيه أثر للتقليد أو الصنعة أو الزيف ،  
وصلة أبي دلف الوثيقة بهذا الوسط الاجتماعي المتميز جعله نموذجاً  
حياً للساساني الحالص<sup>(١)</sup> . وجعل من أدبه وتجاربه صورة واضحة  
متكلمة نظر إليها مثل البديع الهمذاني في أكباد وأجالل وتقدير ،  
وتخاذلها نموذجاً فنياً في عمله الأدبي الجديد في فن المقسمة ، مما  
سنحيط به في شيء من التفصيل بعد قليل .

(١) حب أبي دلف للفن وظفره جعله يحترف الأدب الساساني احترافاً  
مبينا ، حتى لم يسبق فرق بين الأصل والمصورة ، والطبع والصنعة ، وكذلك  
كنا نرى في عصرنا أنساً يرتدون - من أجل الظرف والفكاهة - رداء اشعب  
في جشهه وطمعه ، وهم أعزّ نفساً ، وأكرم طبعاً . وعلى أية حال فهناك فرق  
بين النموذج والأصل أو الحقيقة ، ونحن مضطرون لأن نقول هناً ما قلناه  
عن ساسانيته لأن أبي دلف صور نفسه في قصيده الساسانية بهذه الصورة الساسانية  
الخالصة ، وإذا علمنا أن أبي دلف عاش في قصور الملوك وتال جوارتهم ،  
وكان له ألف حرفة - كما يقولون - أدركنا أنه لم يكن ساساني التكتسب ، بل  
ساساني الفن وحده .

## الفصل الثاني

### أبو دلف . . شاعرا

- ١ -

عاش أبو دلف عالِمَ ينبع وأدبيها وشاعرها في غصر ازدهار الشعر ونهضته في القرن الرابع الهجري ، عصر المتبني (٣٠٣ - ٢٥٤ هـ) ، والشريف الرضي (٢٥٩ - ٤٠٦ هـ) ، وأبي فراس الحمداني (٢٢٠ - ٣٥٧ هـ) والوفاء (٣٦٦ - ٤٠١ هـ) ، والسلامي (٣٩٤ هـ) ، وكشاجم (٣٥٠ هـ) ، والخالديين ، وأبن الحاجاج (ت ٣٩١ هـ) ، والواواء الدمشقي (ت ٣٩٠ هـ) ، والصنوبري (٣٢٤ هـ) ، وقابوس بن وشمكير (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) وأبن سكورة (٢٨٥ هـ - ٩٩٥ م) ، والبستي (٣٢٠ - ٤٠٠ هـ) ، وسواهم من أعلام الشعر العباسى .

وشهر - أول ما شهر ابن ينبع - بالشعر ، فقصد به ملوك السامانيين وزرائهم يمدحهم ، وينشد فيهم القصائد الطوال ، ثم ذهب إلى البوهيميين ، ملوكهم وزرائهم ، فمدحهم بقصائده الجياد .

ومن الأسف أن شعر أبي دلف أو ديوانه يعد مفقودا حتى اليوم ، ولا نعرف له إلا القليل جدا من شعره ، مما سجله الثنائي في « اليتيمة » ، ومن أهم ما حفظه الثنائي لنا من هذا التراث الشعري قصيدة أبي دلف - أو رأيته السابسانية ، التي سوف نتحدث عنها بعد قليل .

- - - ٢ -

وأشهر أغراض شعره : المدح - والهجاء - والفكاهة ، وأهم أغراضه الشعرية على الإطلاق هو شعره السادساني الذي سنعرض له .

ولنبدأ بذكر مقتطفات مما بقى من شعره ، لنتعرف إلى  
شاعريته ، ونقف على مدى اصالتة .

١ - كان أبو عيسى بن المنجم الطبيب من جلساء الصاحب ، وكان  
الصاحب قد أهداه دابة فقاره ، فكلن يركبها كلما قصد مجالس  
الوزير ، وهلكت الدابة أو قتل نفقت ، فطلب الصاحب من شعرائه أن  
يكتب كل منهم قصيدة في رثاء البرذون الراحل ، وينشدها في مجلسه ،  
ويقدمها إلى أبي عيسى ، فاجتمع الشعراء ، ثلاثة عشر شاعرا ، في  
مجلس حافل من مجالس الصاحب ، والقصى كل منهم قصيدة(١)  
.. وقام شاعرها أبو دلف فأنشد أرجوزة طويلة في رثاء الفقيه ،  
ضمنها أحقر عواطفه ، فماذا قال الشاعر في هذا الموضوع ؟ استمعوا  
إلى أبي دلف ينشد(٢) :

دهر على أبنائه وثاب  
يا لك دهرا كله عقاب  
اصبح لا يردعه العتاب  
واها لشاء ما له ايتاب  
لكل قلب بعده اكتئاب  
ذو نسب تحسد الأنساب  
قد كملت في طبعه الآداب  
كأنما غرته شهاب  
كأنما لبياته محراب  
لا خبر منك ولا كتاب  
تقابلك للردى أنياب

(١) ٣ : ٢١٣ - ٢٣٦ يتيمة الدهر .

(٢) ٣ : ٢٢٣ - ٢٢٥ المرجع .

تجزع من أمثالها الأحباب  
و كنت لسو طالت بك الأوصاب  
يُخف في مصعرك المصاب  
وأنت فرد ما له أتراب  
قل لأبي عيسى : وما الأسهاب  
يذاقع : تم لك الشواب  
فاسكن فهذا الصاحب الوهاب  
في جوده وفضله مناب

٢ - ويقول أبو دلف أيضا يصف ترفة وشجاعته<sup>(٣)</sup> :

انى امرؤ كسروى الفعال  
أصيف الجبال وأشتو العراق

والبس للحرب أثوابها  
واعتنق الدارعين اعتنقا

يقول ابن الفقيه : اختار أبو دلف بفضل رأيه أن يصيف الجبال ،  
ليسلم من سمائم العراق وذبابه وسخونة مائه وموائمه ، ويستتو  
بالم伊拉克 ليسلم من زمهرير الجبال وكثرة رياحها ووحولها .

٣ - ولما طوت الأحداث حياة أبي دلف المترفة ، فاحتله فقيرا  
بعد غنى ، قال<sup>(٤)</sup> :

اللم ترنى حين حال الزمان  
أصيف العراق وأشتو الجبال

(٣) ٢٤١ مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه - طبعة أبريل ١٣٠٢ هـ .

(٤) ٢٤١ المرجع السابق .

سموم المصيف وبرد الشتاء  
حنانيك حلاً أزالتك حلاً

فصبراً على حدث النائبات  
تأبى الحوادث إلا انتقالاً

٤ - ووقف أبو دلف أمّام بعض آثار تدمير في الشام ، فقال :

ما صورتان بتدمير قد راعتا  
أهل الحجى وجماعة العشاق

غبراً على طول الزمان ومره  
لم يساما من الفة وعناق

فليرميin الدهر من نكباته  
شخصيهما منه بسهم فراق

ولييليهما الزمان بكره  
وتعاقب الظلام والاشراق

كى يعلم العلماء أن لا دائم  
غير الله الواحد الخالق

٥ - ولأبي دلف حكم مأثورة مشهورة ومنها أبياته السائرة<sup>(٥)</sup> :

هي المقادير تجري في أزمتها  
فاصبر فليس لها صبر على حال

(٥) كتاب التمثيل والمحاسبة للشاعلبي ، ومن الطريف أن هذه الأبيات  
لشهرتها رويت بروايات مختلفة ، ونسبت لكثير من الشعراء ، منهم : الشافعى ،  
والواشق العباسى ، وأسحاق الموصلى .

دع المقادير تجري فى أعنثها  
ولا تبيتن الا خالى البال

ما بين طرفة عين وانتباها  
يغير الله من حال الى حال

وليس بين أيدينا نصوص من حكمه لأن شعره مفقود الا النماذج  
القليلة التي رواها الثعالبي .

٦ - ويذكر الثعالبي أن الصاحب الوزير بنى قصرا بأصبهان ،  
وانتقل إليه ، واقتصر على شعرائه أن يقولوا فيه شعرا . وفي يوم  
حافل اجتمع شعراوه الثلاثة عشر في مجلس الصاحب ، ومن بينهم  
شاعرنا أبو دلف(٦) ، فأنشد كل منهم قصيدة طويلة في مدح الصاحب  
ووصف القصر ، وقد ذكر الثعالبي هذه القصائد ومن بينها قصيدة  
أبي دلف . ومطلع قصيدة أبي دلف هو :

رأيتا طلعة الدار شموما مع أقمار  
ولئى مسألة بعد فمعالجلى بياخبار  
بنيت الدار في دنيا ك ، أم دنياك في الدار ؟

٧ - وللننتقل إلى قصيدة أبي دلف الساسانية المشهورة العجيبة ..  
و قبل أن نذكرها نذكر مدلول « الشعر الساساني » .

الشعر الساساني له بذور قديمة في شعر الصعباليك ، وفي  
مزاح أشعب وطبقته ، وفي أدب الجاحظ في بعض كتاباته .

وقد عم الفقر البلاد الإسلامية في العصر البوبي، كما ذكرنا آنفاً، وما أقسى ما قاله أبو حيان في كتابه «الامتاع والمؤانسة»<sup>(٧)</sup>: القوت لم يكن إليه سبيل إلا بأخلاق المروءة، وتجربة الأسى، ومقاساة الحرقة، ولذع الحرمان، والمصبد على الأوان والأوان، أو ما يقوله ابن لنك البصري:

جار الزمان علينا في تصرفه  
وأى دهر على الأحرار لم يجر؟

وكان كثير من الساخطين والشعوذين والمحتالين والمسائلين الحواة يجوبون البلاد، ويطوفون بالأقاليم، ويتنقلون في اختراع الحيل للحصول على المال، ويظهرون أحياناً أن صدقوا وأن كذبوا إنهم مجاهدون أحياناً أو من أبناء السبيل، أو من نهبت أموالهم في الطريق، أو مرضى، أو غير ذلك، فأطلق على هؤلاء بنو ساسان، أو السياسيون<sup>(٨)</sup> وكان جامعاً لهم الكثير منهم<sup>(٩)</sup>.

وظهر الشعراء والأدباء الذين يقلدون شعرهم وأدبهم في الاستجداء، وفي الاحتيال علىأخذ الناس من أى طريق، وقيل لجماعة هؤلاء الشعراء والأدباء أيضاً: ساسانيون، وقيل لأندبهم وشعرهم: أدب وشعد ساساني. وكم هناك من فرق بين المدح وبين الاستجداء والاحتيال على الناس؟

وللساسيين لغة واصطلاحات خاصة لا يعرفها إلا من كان منهم، وتعرف هذه اللغة باسم «مناكاة بنى ساسان»، وكان المصاحب بحفظ منها الكثير حفظاً عجيباً، كما يقول الشاعر في الديتيمة<sup>(١٠)</sup>، وكان بعجبه من أبي دلف وفسور حظه من هذه اللغة في شعره،

(٧) ٢١٤٢ الكتاب المذكور.

(٨) ٤٧ دائرۃ المعارف الإسلامية ٤٦/١١.

(٩) ٧ أحسن القسم المقدسى.

(١٠) ١٧٦/٣ الديتيمة.

وبخاصة في قصيدة الساسانية الطويلة ، التي كتبها وقدمها<sup>(١١)</sup> إلى الصاحب ، ووصف فيها حيل بنى ساسان وأساليب حياتهم ، وقد اختار منها الشاعرية في القيمة نحوا من مائتى بيت .

هذا هو معنى الشعر الساساني باجمال ، فمن هو ساسان  
الذى نسب اليه هذا الشعر ؟

قيل : هو أمير من الأسرة الساسانية<sup>(١٢)</sup> الفارسية المالكة ،  
حزن لما تولت أخيه الملك وحرم هو منه ، فاشترى غنم ، وجعل  
يرعاها ، ويعير بأنه راعى غنم ، فنسب إليه كل من احترف الكدية .

وقييل<sup>(١٣)</sup> : أن الساسانيين كانوا شرذم الأمراء من بنى  
ساسان ، جاء الإسلام فذلوا بعد عز ، وافتقروا بعد غنى ، ورحلوا  
من مكان إلى مكان ، فصارت نسبةهم إلى الساسانيين نسبة عاد وذل ،  
بعد أن كانت نسبة شرف ومجد .

وقييل أن ساسان كان رجلا من عامة الناس ، مهرا في الحيلة  
والاستجاداء ، فنسب إليه هؤلاء .

وكان من الساسانيين شعراء صقل الحرمان مواهبيهم ، وأنضج  
العلم عقريتهم ، ومنهم شاعرنا أبو دلف ، وشاعر آخر ضاهاه في رفعه  
المنزلة في الأدب الساساني ، وهو الأحنف العكبري . الذي قيل  
عنه : أنه أدب بنى ساسان في بغداد ، وقال الشاعر عنه : هو

(١١) ٢١٨ « الأدب في ظل بنى بويه للزهيري » - طبعة عام ١٩٤٩ م.

(١٢) أسرة فارسية حكمت إيران ، أولهم أردشير (٢٢٦ - ٢٤١ م ) ،  
وآخرهم يزدجرد الثالث ( ٦٥١ - ٦٣٢ م ) الذي سقطت الإمبراطورية الفارسية  
في عهده في أيدي المسلمين ( راجع ٤٧/١١ - ٥٥ دائرة المعارف الإسلامية  
و ١٤٢ : « ظهر الإسلام لأحمد أمين » .

(١٣) هو رأي محمد عبد في شرحه لمقامات البديع - ص ٩٧ .

فرد بنى ساسان اليوم بمدينة السلام (١٤) .

وقد أكثر العكبرى من تصويره بؤسه وحرمانه ، فيقول :

العنكبوت بنت بيتا على وهن  
تاوى اليه وما لى مثلها وطن

ويقول أيضاً :  
عشت فى ذلة وقلة مال  
واغتراب فى عشر انذال

بالمانى اقول لا بالمعانى  
فغذائى حلاوة الامال (١٥)

---

(١٤) ١١٧/٣ اليتيمة - ٢٢٤ بديع الزمان الشكعة .  
ولقد ذكر الجاحظ - في « المحسن والآضداد » وفي « البخلاء »  
ص ٣٦ - الكدية والمكدين .. وفي المحسن والمساوئ للبيهقي نصوص عن  
الجاحظ في ذلك ( ٦٢٢ - ٦٢٤ ) المحسن للبيهقي ) .  
ويذكر بديع الزمان في مقاماته المقصوص وحيلهم - راجع المقامات  
اللرصافية - كما يذكر الكدية كذلك ، وفي مقامته الساسانية ، التاسعة عشرة ،  
يدافع عن الكدية ، ويذكر الكثير من بواعثها وقد ذكر التوحيدى ( ٢/١٤٣  
الامتناع والمؤنسة ) الساسانيين راثيا لحالهم .  
وفي مقامات الحريرى المقامات الساسانية التاسعة والأربعون ، وفيها يوصى  
أبو زيد السروجي ابنه وولى عهده وكبش الكتبية الساسانية من بعده بصناعة  
الكدية ، وبالزهد في غيرها من الصناعات ، ولو كانت امارة أو تجارة أو  
زراعة أو صناعة .  
وأدوات صناعة الساسانيين كما صورها الحريرى : « الفطنة والذكاء والوقاحة ،  
وأن يكون الساسانى أجوى من قطرب ، وأسرى من جندب ، وكذلك الجد  
والثابرية ، فلا يسام « الطلب » ، ولا يصل الداب ، وعليه بالاقدام ولو على  
الضرغام ، مع تحليه بالبلاغة ، لأن يكون أخلب بصوغ اللسان ، وأخدع  
بسحر البيان الخ .  
ولصفى الدين الحللى قصيدة ساسانية طويلة في ١٤٥ بيتا .  
(١٥) راجع ٢ : ١١٧ - ١١٩ اليتيمة .

ودالية الأحنف الساسانية مشهورة وفيها يقول :

علسى انسى بمحمد الله فى بيت من الجند  
باخوانى بنى ساسا ن اهل الجند والجند  
لهم ارضن خراسان الى الهند  
الى الروم الى الزنج الى البلفار والسند  
قطعنـا ذلك النهج بلا سيف ولا فند

وقد هزت هذه القصيدة ابا دلف ، فعارضها بقصيدهه الساسانية المشهورة ، التي حشر فيها الخليفة المظيم الله العباسى ( ٣٤٣ - ٢٦٣ هـ ) - الذى لم يكن يملك فى ظلال البوبيهين من الأمر شيئاً ، حشره فى جملة الساسانيين الصدليك القراء ، وكان ذلك مما يتندر به الصاحب وعسى الدولة ، وهو على أى حال تندى مر لأنه يتثير الى الحقيقةمرة كاملة ، اذ كان الخليفة فى ظلل البوبيهين لا شأن له بشيء من أمور الخلافة والسلطان ، ويعيش دائماً فى فقر وحرمان .

قصيدة ابى دلف الساسانية ( ١٦ ) :

قصيدة طويلة ساسانية ، ذكرها الثعالبى فى اليتيمة ، وشرح كثيراً من اصطلاحاتها الساسانية ، ولها أهمية كبيرة ، لا فى شعر ابى دلف ، ولا فى الشعر الساسانى ، وحدها ب خاصة ، بل فى الشعر العباسى عـمة .

وقد اهتم بها المستشرقون اهتماماً شديداً ، فعنوا مثلاً بعـدا

جاء فيها من وصف الأوانى الصينية<sup>(١٧)</sup> .

وهذه القصيدة تجمع ما تفرق من اصطلاحات المسلمين ،  
ولا يقاريها في هذا الباب أثر أدبي آخر إلا مقامات البديع .

وقد استخدم أبو دلف بكثرة في القصيدة كلمات غامضة من  
اللغة السرية لآل ساممان ، وقد شرحها التعالبى وكشف عن مغاليقها ،  
ولسولا ذلك لما فهمنا عنها شيئاً . وكان أبو دلف يجيد هذه اللغة  
 تماماً وقد علم الصاحب أيامها بنجاح ، وقد أعلن أبو دلف أنه نفسه  
من زمرة المسلمين .

يقول شاعرنا من هذه القصيدة :

جفون دمعها يجري	لطول الصد والهجر
وقلب ترك الوجه	به جمرا على جمر
لقد ذفت الهوى طعمي	ن من حلو ومن مر
ومن كان من الآهرا	ر يسلو سلوة الحر
كأمالي ، وفي الغرب	ة أودى أكثر العمر
وشاهدت أعاديا	والوانا من الدهر
على إنى من القوم الـ	ـ بهاليـل بنـى الغـرـ
بنـى مـاسـانـ والـحـامـى الـ	ـ سـحمـى فـى سـالـفـ العـصـرـ

(١٧) « المرحالة المسلمين في العصور الوسطى » ، د. زكي حسن .

فنهن الناس كلنا س فس البر وفس البحر  
اخذنا جزية الخلق ارض خيلنا تسرى  
الى طبقة ، بل فن كل من الصين الى مصر  
لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر  
فان ضيق بنا قطع نسر عنى قطسر  
ويقول ابو دلف في القصيدة أيضا :

ومنا شعراء الارض اهل البسادن والحضر  
وممنا سائر الانصار والاشراف من فهير  
ويستطرد ابو دلف ، فيجعل الخليفة المطيع للعباسى من  
جملة الساسانيين :

ومنا قيم الدين الى مطيع الشائع الذكر  
وكان معز الدولة ثم اپنه عز الدولة قد ساموه النذل  
والهوان (١٨) ٠٠

ثم يقول ابو دلف :

سقى الله بنى ساسا غيشما دائىم القطسر  
الا انى حلبت الدهـ سـ من شسطـ الى شسطـ

(١٨) ٣٠٧ و ٨٦/٦ « تجارب الامم » لمسكويه .

وَجَبَتِ الْأَرْضُ حَتَّى صَرَتِ فِي التَّطْوِافِ كَالْخَضْرِ  
وَلِغَرْبِهِ فِي الْحَرَقِ فَعَالَ النَّارُ فِي التَّبَرِ  
وَمَا عَيْشَ الْفَسْطَنِ إِلَّا كَحَالِ الْمَدِ وَالْجَزْرِ  
فَبَعْضُهُ مِنْهُ لِلْخَيْرِ وَبَعْضُهُ مِنْهُ لِلشَّرِ  
فَإِنْ لَمْتِ عَلَى الْغَرْبِ شَيْئًا مُثْلِي فَاسْمَعْنَاهُ عَذْرًا  
أَمَالِي أَسْوَةٌ فِي غَرَبِ بَتِي بِالسَّادَةِ الطَّهَرِ  
فَإِنْ اظْفَرَ بِأَمَالِي شَفِيتِ غَلَةَ الصَّدَرِ  
وَقَدْ تَخْفَقَ فَوْقَى عَزَّةِ الْمَوْيَةِ النَّصَرِ  
وَإِمَامًا تَكُونُ الْأُخْرَى فَلَا أَبْتَ مِمَّا السَّفَرِ  
وَلَا عَدْتُ مِنْيَ عَدْتَ بِسَلَامٍ عَزَّ وَلَا وَفَرِ

هَذِهِ هِيَ أَبْيَاتٌ مِنَ الْقَصِيدَةِ السَّاسَانِيَّةِ ، الَّتِي نَظَمَهَا أَبُو دَلْفُ ،  
وَأَنْشَدَهَا الصَّاحِبُ ، وَطَارَتْ شَهْرَتُهَا بَيْنَ الْأَدْبَارِ وَقَدْ أُتِيدَ عَلَى أَبْيَاتٍ  
قَلِيلَةٍ مِنْهَا بَعِيدَةٌ عَنِ اصْطِلَاحَاتِ السَّاسَانِيِّينَ الْمُعْوِيَّةِ .

وَلَا نَقُولُ عَنْهَا إِلَّا أَنَّهَا وَثِيقَةٌ أَدْبَيَّةٌ كَبِيرَةٌ (١٩) الدَّلَالَةُ فِي  
الشِّعْرِ الْعَبْسِيِّ ، وَأَنَّهَا مِنْ أَرْفَعِ نِمَادِجِ الشِّعْرِ السَّاسَانِيِّ وَهِيَ حَافَلَةٌ  
بِالْبَلَافَةِ وَالْمَصْوَرِ وَالْأَخْيَلَةِ الْعَجِيَّبِ .

---

(١٩) بَعْدَ أَنْ كَتَبَتْ ذَلِكَ وَجَدَتْ آدَمُ مَقْتُرًا « فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ » ،  
٢ : ١٠٧ يَقُولُ عَنْهَا : أَنَّهَا وَثِيقَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ .

### الفصل الثالث

#### أبو دلف « نموذجاً أدبياً رفيعاً في مقامات البديع »

- ١ -

كان ابتكار البديع الهمذاني (٢٥٨ - ٣٩٨ هـ ، ٩٦٩ - ١٠٠٧ م) في القرن الرابع الهجري لفن المقامة حدثاً أدبياً جديداً في الأدب العربي.

ففقد بهر النقاد والرواة أسلوبها، ونزععة القصة فيها، وهذا الحوار الذي طالما دار بين بطله أبي الفتح الاسكندرية ورأويته عيسى ابن هشام، كما بهرم هذا النموذج الفني الرفيع الذي تمثل في شخصية الساساني أبي الفتح البطل.

وتفن الناس بمقامات بديع الزمان افتئتاً شديداً .

وليس هناك إلا البديع نفسه، فهو أبو المقامات في الأدب العربي، وصاحب الفضل في إنشائتها، ويؤيد ذلك الحريري أبو محمد القاسم ابن على البصري (٤٤٦ - ١٥١٦ هـ) في مقدمة مقاماته، فقد جعل ابتداع المقامات راجعاً إلى بديع الزمان، وعلامة همدان، وكذلك جعل الشعالي في « الينية » البديع أباً عذرتها، والواضح لأصولها وخطتها ويتبعهم في ذلك كثيرون، منهم مارون عبد عبود مثلاً، إذ يقول<sup>(١)</sup> : إن خطة المقامات من عمل البديع، فهو الذي ألبسها هذا الطراز، وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام، وعيثنا نخالق العثور على أثر لهده الخطة عند غير البديع .

(١) ٢٤ « بديع الزمان » مارون عبد .

وكل ذلك ذهب مازن المبارك الذى يقول(٢) : فتح البديع باب فن  
جديد هو فن المقامة فى الأدب العربى .

هذا هو الرأى السائد فى نشأة المقامة ، ولكن الحصرى صاحب كتاب « زهر الأداب » يذهب فى كتابه(٣) الى أن البديع اقتبس فن المقامة من أحاديث ابن دريد (٤) ٢٢٢ - ٢٢١ هـ ، ومعنى ذلك كما قال الدكتور زكي مبارك(٥) أن البديع ليس هو المبتكر لفن المقامة ، وإن كان له فضل فى نشأتها ، وينفى مؤلف كتاب « بديع الزمان رائد القصيدة القصيرة » وهو مصطفى الشكعة(٦) أن تكون أحاديث ابن دريد ذات صلة بفن المقامة كما عرف عند البديع .

ويجعل آخرون البديع محتذياً حتى استاده ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)  
في رسائله الحوارية .

ويذكر آخرون ، ومن بينهم شيوخى ضيف(٧) ، أن البديع اقتبس مقاماته من كتابات الجاحظ وقصصه في البخلاء والحيوان والمحاسن والأضداد عن أهل الكدية ، ومع جواز ذلك في المضمون ، فإن شكل المقامة الفنى يبقى جديداً كل الجدة عند البديع : وهناك على أية حال فرق بين البدرة والثمرة في أي عمل أدبى أو غير أدبى .

ويجعل بعض المستشرقين أساسيات التوراة عند اليهود وقصبة لقمان هي الملميّتان للبديع بفكرة المقامات ، ويذكر آخر أن قصص جحا في الأدب الفارسي والعربية والتركية ذات أثر في نشأة المقامات ، وهذا كله كلام يعوزه الدليل ولا تنهض به الحجة(٨) !

(٢) ص ١٦ « مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته » - مازن مبارك .

(٣) ١ ٢٣٥ « زهر الأداب » .

(٤) « النثر الفنى » لزكي مبارك .

(٥) ص ٢٠٧ « بديع الزمان » الشكعة .

(٦) ٢٠ « المقامات » لشوقى ضيف - طبع دار المعارف .

(٧) راجع ١٤٦ « الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني »  
مؤلف .

ويذهب آخرون إلى أن المقامات مقتبسة من أصل فارسي ، ولكن المذ叙ين من العرب والفرس ينفون أن تكون المقامات قد وجدت في الأدب الفارسي قبل بديع الزمان ، إذ لم تعرف المقامات في الأدب الفارسي إلا بعد بديع بن جو قرن ونصف من الزمان ٢٠ فأول مقامات كتب بالفارسية هي للقاضي حميد الدين البلخي الذي بدأ بكتابتها عام ٥٥١ هـ وتوفي بعد ذلك بسبعين سنة (١١٦٤ هـ) كما يقول براون ، ويؤكد محمد تقى بهار<sup>(٨)</sup> أن المقامات من اختراع بديع ، وأن كل اختراع في الأدب العربي كان له صياداته في الأدب الفارسي وأن حميد الدين قلد بديع والحريري في مقاماته ، وينكر الانواري اعجاب الفرس وافتتانهم بمقامات حميد الدين ٠

ان هذه القصيدة الحوارية القصيرة ، ذات المنهج الفنى الملزم ، والصياغة الطريفة ، والصيغة الجديدية ، والفكرة الأساسانية ، التي دعيت مقامة ، قد أنشأها بديع الزمان الهمذانى ، لتجبيه مطالب الحياة الفنية والأدبية والفكرية والاجتماعية والسياسية التجديدة فى عصره ٠

- ٢ -

ولقد جعل بديع الزمان مقاماته بطلاً ساسانياً هو أبو الفتاح الاسكندرى ، وهو الذى مثل كل أدوارها ، ونهض بجميع فصولها ، وقدم بكل أحدياتها ٠

وشخصية أبي الفتاح - كما تبدو من خلال المقامات - شخصية رائعة حقاً ، فهو بطل الموقف كلّه في المقامات ، وهو - كما يصوره الهمذانى - عالم وأديب وشاعر ، وهو ناقد بلين ، ومغامر محتمل ماهر ، مثير في الآفاق ، تقسو عليه ظروف الحياة فلا يجد إلا الكدية والاحتياط بكل أسلوب من أجل المال أو الطعام . وهو إلى ذلك كلّه مجرّب حكيم خبير بالأيام وصروفها ، عركها وعركته ، يجرب الآفاق ويخطب في الاندية ، يهز الناس بقصاصته وبلايته ٠

---

(٨) « تاريخ تطور النثر الفارسي » - محمد تقى بهار ٠

وكنية أبي الفتح لعل البديع رمز بها إلى فتوحات هذا البطل  
وانتصاراته في مواجهة العجيبة في الكدية .

أما وصف الاسكندرى الذى لازمه فقد يكون معززاً لذلك المعنى على  
أنه نسبة إلى الاسكندر ، فتكون فتوحات أبي الفتح فى أموال الناس  
شبیهہ بفتحات الاسكندر . وقد ينأى بذلك أن أبي الفتح يكرر فى  
مقاماته قوله « اسكندرية دارى »<sup>(٩)</sup> ، نسبة إلى الاسكندرية لا إلى  
الاسكندر الأكبر المقدونى ( ٢٥٦ - ٢٢٣ ق م ) . ويصبح لنا أن نجمع  
بين الأمرين ، فتكون نسبة إلى الاسكندرية مقصوداً بها الرمز إلى  
شيء في فتوحاته الساسانية بفتحات الاسكندر التي تنسب إليه مدینته .

ويقودنا ذلك إلى التساؤل : أية اسكندرية كان يعني البديع ، وكان  
ينتسب إليها أبو الفتح الساساني ؟

فى المقامة التاسعة الجرجانية يقول أبو الفتح البطل متحدثاً عن  
نفسه : انى امرؤ من أهل الاسكندرية من الثغور الاموية . وفي المقامة  
الtasuea والعشرين الحمدانية يقول : من الثغور الاموية والبلاد  
الاسكندرية . ويذكر أبو الفتح نسبة إلى الاسكندرية فى مواضع كثيرة  
آخرى .

فإذا رجعنا إلى ياقوت ( ١٠ ) وجدناه يذكر أن الاسكندر بنى  
ثلاث عشرة مدينة سماها كلها باسمه ، ثم تغيرت أسماؤها بعده ،  
فمنها : اسكندرية مصر ، والاسكندرية التي صار اسمها سمرقند ، والتي  
صارت مرو ، والتي سميت بعد باسم بلخ ، واسكندرية الأندلس التي  
على النهر الأعظم - نهر أشبيلية - وهى التي رجحها الإمام محمد عبد  
لوصف البديع لها بأنها من الثغور الاموية وقد كانت الخلافة الاموية  
تحكم الأندلس فى القرن الرابع الهجرى عصر البديع . الا أنى وجدت

(٩) راجع مثلاً فى المقامة الأربعين - العلمية - قول البديع :

اسكندرية دارى      لو قر فيها قرارى

(١٠) ٢٣٥/١ معجم البلدان .

رحلة عريساً في القرن الرابع - هو أبو دلف - يذكر مدينة المنصورة عاصمة السندي ، ويقول عنها : إن الخليفة الأموي مقيم بها (١١) ، فهل كانت هذه المدينة قد يسمى الاسكندرية أيضاً ، ليصبح أمامنا احتمال جديد آخر ، ويدرك باحث عراقي أن الاسكندرية بين بغداد والحلة (١٢) ، ولكن ما صلتها أذن باللغور الأموي ؟

ويذهب عبد الوهاب عزام إلى أن صحة الكلمة « الأموية » نسبة إلى نهر أموي (١٣) - جيرون - وبذلك تكون الاسكندرية المقصودة هي مدينة الاسكندرية على نهر أموي .

ومع ذلك كله فلا نزال نسير في بيداء سحرية .

- ٣ -

ونسائل أنفسنا : من هو أبو الفتح الاسكندري إذا ؟

١ - هناك رأى سائد أنه شخصية أسطورية خيالية محضة ، كشخصية راوي القصائد، عيسى بي هشام ، يقول الحريري في مقدمة مقاماته : كلامه مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تعرف . وهذا ما رجحته منذ عشرين عاماً في كتابي « الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني » (١٤) ويؤكد ذلك المستشرق الفرنسي إيلوار ، فيقول : وضع البديع شخصاً خيالياً ابتكره وسمّاه أبو الفتح، وذهب بعض الباحثين إلى أن عيسى ابن هشام راوية المقامات كان شيخاً للبديع ، ومنهم أبو شجاع شعريوية (٥٠٩ هـ) مؤلف تاريخ همدان ، وينقل ذلك عنه ياقوت في معجم الأدباء ، ولعل ذلك وهم ناشيء من قول البديع في مطلع كل مقامة من

(١١) هذا النص منقول عن معجم البلدان راجع ٤٠٩/٥ معجم البلدان .

(١٢) يعد رسالة ماجستير عن مقامات الحريري ، وأسمه طارق العوسج ، وهو مدرس بمكة المكرمة حالياً .

(١٣) ٢٣٤ بديع الزمان لشكعة نقل عن محاضرات عزام في كلية الآداب عام ١٩٤٤ م .

(١٤) ص ١٤٧ الكتاب المذكور .

مقيماته : حدثنا عيسى بن هشام . ولو ذهبنا الى أن أبي الفتح هو الذي كان استاناً للبديع لكان ذلك أكثر صلة بالبحث ، وأكثر انطباقاً على الموضوع .

ومن ذهب إلى أن هاتين الشخصيتين خياليتان مؤلف كتاب « بديع الزمان » الدكتور الشكعة الذي يقول : حاولنا أن نجد لبطلي المقامات صدى تاريخياً فلم نعثر لهما على أثر والغالب أنهما من ابتكار خيال البديع نفسه (١٥) .

٢ - وهناك رأي جديد هو أن شخصيات مقامات البديع كانت لأشخاص وجدوا بالفعل ويدركوا ذلك بعض المستشرقين ، إلا أنهم لم يستطيعوا تحديد هؤلاء الأشخاص المجهولين ولا الكشف عن شخصياتهم التاريخية .

وأنا معهم في ذلك . ولكنني أخطو خطوة جديدة من أجل الكشف عن شخصية أبي الفتح بطل المقامات البدعية .

ويذهب باحث عراقي (١٦) سبق الاشارة إليه إلى أن أبي الفتح هو البديع نفسه ، ومن قبل قلت ذلك في كتابي « الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني » (١٧) حيث ذكرت أنه قد يكون في حياة أبن أبي الفتح شيء من صفات البديع نفسه ، وشيء من أخلاقه . ولكنني أخالف ذلك اليوم ، وستتبين الحقيقة وأوضحة وكاملة بعد قليل .

ويذهب باحث آخر (١٨) إلى أن الكدية أو الساسانية التي كانت صناعة أبي الفتح « نجد من أعلامها في عصر البديع من يشبه أبي الفتح من وجوه كثيرة : كابن الحاج (ت ٣٩١ھ) ، وابن سكرة (ت ٣٨٥ھ)

(١٥) بديع الزمان . ص ٢٣٢ .

(١٦) هو طارق عبد الوهاب العوسي يحضر رسالة دكتوراه عن مقامات الحريري .

(١٧) ص ١٥٧ و ١٥٩ الكتاب المذكور .

(١٨) ص ٢٢٤ « الأدب في ظل بنى بويه » للزهيري - طبع مصر ١٩٤٩ .

وابي الورد ، ومن يشبهه من بعض الوجوه كابي حيان التوحيدى ، بل  
البديع نفسه ، ومن يشبهه كل الشبه كابي دلف والاحنف العكبرى ، ٠٠  
ومجمل هذا الرأى أن أشباء أبي الفتح الاسكندرى كثيرون فى عصر  
البديع ، وأن أقربهم شبها به هو أبو دلف أو الأحنف . وهذا الرأى  
لا يأتي لنا بجديد ولا بأمر مؤكدى فى البحث على أية حال ، فلم يجزم هذا  
الباحث برأى معين له .

٣ - ورأى الذى أذهب إليه اليوم هو أن أبا الفتح إنما هو  
شخصية تاريخية معروفة فى عصر البديع ، وهو أبو دلف الخزرجي  
وحده .

وهذا الرأى لا يسبقنى فيه باحث ، وبه ينفتح الباب أمامنا لفهم  
كثير من حقائق الأدب فى القرن الرابع ٠٠ ودليلنا عليه هو ما قاله  
الشعاليين فى « يتيمة الدهر » (١٩) قال :

أنشدنى بديع الزمان لأبي دلف ، ونسبة فى بعض المقامات إلى أبي  
الفتح الاسكندرى :

ويحك هذا الزمان نور فلا يفرنه الغرور (٢٠)  
لا تلزمه جالة ولكن در بالليالى كما تدور

ومن هذا النص نعرف الحقائق الآتية :

- ١ - أنشد البديع الشعالي شعراً لأبي دلف .
- ٢ - وهذا الشعر نفسه نسبة البديع فى مقاماته إلى أبي الفتح ،  
ف تكون النتيجة هى أن أبا الفتح هو أبو دلف نفسه بأقرار البديع .

---

(١٩) ٣ : ٢٥٤ يتيمة .

(٢٠) هذا الشعر فى المقامة القرصية احدى مقامات البديع .

٣ - كان البديع راوية لشعر أبي دلف ، ويبعدوا إلى أن البديع كان  
ينزل أبو دلف من نفسه منزلة الأستاذ والمعلم .

وإذن يكون أمامنا رأى جديده نجزم به ، هو أن البديع حين كتب  
مقاماته اختار أبو دلف أستاذه وصديقه ومعاصره بطلاً للمقامات، ولكن  
عنه بأبي الفتح ، وكان أبو دلف أروع نموذج ساساني يصلح بطلاً  
للمقامات ، لأن حياته وشخصيته وتجاربه مطابقة تمام المطابقة للنموذج  
الذى صوره البديع فى المقامات فى شخص أبي الفتح الاسكندرى ، ولأن  
شهرة وتجارب أبي دلف كانت تصلح معيناً يستقى منه البديع كل ما يريد  
أن يصور به أبو الفتح وذلك ما قد كان .

بل إنني أضيف إلى ذلك أن البديع الهمذانى حين سمع قصص أبي  
دلف الشیخ الحکیم المجرب عن رحلاته وتطوافه في البلاد ، واستمع إلى  
فكاهات هذا الشیخ وسمره في مجالس الملوك والأمراء والوزراء رأى  
أن هذه الصورة الفنية تصلح أساساً لفن جديده ابتكره وسماه  
«المقامة» ، فكان أبو دلف هو المعلم للبديع الشاب الذكي بابتکار  
فن المقامة في الأدب ، العربي ، في القرن الرابع ، وفي عصر أبي دلف .

## ملحق بالكتاب :

### ينبع موطن أبي دلف

ينبع من أقليم الحجاز ، تطل على البحر الأحمر ويقال لها :  
الينبئ ، والينبوع أيضا ، وهما تحريف للاسم الأول .

وهي الآن إمارة تضم مقر الإمارة ينبع البحر ، وينبع النخل  
الزراعية بقراها العديدة .

وذكر يافوت عن الشريفي أبي سلمة بن عياش الينبوعي أنه قال :  
عذلت بها مائة وسبعين عينا .

ومن أشهر جبال ينبع رضوى (يرتفع عن سطح البحر بنحو  
١٨١٤ مترا ، ووادي ينبع مشهور ، وبجواره وادى العيس

وقد وقعت غزوة العشيرة في أقليم ينبع ، وقد غزا رسول  
الله بنفسه هذه الغزوة ، وهي في بطن وادى ينبع . وفي ينبع « عين  
البركة » و « سويقة » من مثايل الطالبيين .

وكان الإمام علي بن أبي طالب يقيم في ينبع قبيل توليه الخلافة .  
وكان بها معجبا ، ويرى المؤرخون عنه أنه نظر إلى جبالها فقال : « لقد  
وضعت على نقب من الماء عظيم » . ثم استوطن بنوه وأحفاده تلك  
الجهات وانتشروا وكثروا فيها ، وملكونيون ينبع ومزارعها . وازدهرت  
ينبع فيما بعد حتى فاقت المدينة المنورة . ووصفها المقدسى في القرن  
الرابع الهجرى قائلاً: « ينبع كبيرة جليلة، حصينة الجدارى، غزيرة الماء،  
أعمى من يثرب، وأكثر نخيلًا، حسنة الحصن، حارة السوق » . وفي القرن  
السادس الهجرى قامت فيها للحسينيين دولة كان من أشهر رجالها الشريف  
« قتادة » جد ولاده مكة من الأشراف . وكان قتادة وذووه يسكنون في  
« العلقمية » من عيون ينبع المعروفة الآن . وقد استمر الملك في آل قتادة  
يتوارثونه حقبة من الزمان واتخذوا من وادى ينبع حصناً لهم . ثم

أصبحت ينبع أحدى المحطات الرئيسية التى يمر بها الحجاج القادمون من مصر والشام براً أو بحراً . وكان الحجاج وأهل ركب المحمل يستبشرون باقترابهم من « أم القرى » عند وصولهم إلى ينبع . فيقيمون فيها ثلاثة أيام أو أربعة يرثون فيها أنفسهم من عناء السفر حيث التخل الكثير والعيون الجارية والينابيع العذبة المتجردة . وتقام فيها سوق كبيرة يجدها الحاج كل ما يلزمه من أصناف الطعام من لحوم وسمون وعسل وتمر وخضار ، ولهذا كان مرور الحجاج بها يعتبر من المواسم المشهودة .

وفي بداية القرن الثاني عشر الهجرى تعرضت منطقة ينبع للحروب والفتن فحلت بها وبأهلها الكوارث والأرزاء مما صرف سكانها عن العناية بالزراعة ، قوام تلك المنطقة . وفي أول العهد السعودى بعد استباب الأمن وانتشار العدل ، نشطت حركة الزراعية فازتعشت البلاد بصفة عامة . الا أن هذه الحالة لم تدم طويلاً ، اذ نضبت فيها عيون كثيرة أدت إلى ضعف حركة الزراعة وبالتالي إلى هجرة الكثيرين من أهلها إلى جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة . وقد تباهت الدولة لهذا الأمر فأعادت لها في السنوات الأخيرة مشاريع زراعية كفيلة برفع مستواها الزراعي واستقرار سكانها .

اما ينبع البحر فلم يكن لها شأن يذكر عند المؤرخين في العصور الإسلامية قبل القرن السابع الهجرى ، مع ان بعض المستشرقين يرى أنها كانت معروفة قبل الإسلام ، بل قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وفي صدر الإسلام اتخذ المسلمون الأولون لتجاراتهم الكبيرة من « الجار » ميناء ، عندما كانت لهم علاقات تجارية قوية مع بلاد أنحبشة . وقد اكتسب هذا الميناء شهرة كبيرة حتى ان البحر الأحمر كان يعرف ببحر الجار . ويقع الجار في المكان المعروف، الآن باسم « الرئيس » إلى الجنوب من ميناء ينبع ، بينما يرى بعض الباحثين انه يقع في مكان ميناء « البريكية » الذي لا يزال يستعمل على نطاق محدود . وفي أواخر القرن السادس الهجرى بدأ أمر الجار يتضمن واحد ميناء ينبع يقوى ، حينما جعله الأيوبيون الميناء الرئيسي

للمدينة المنورة وأقاموا فيه بعض الازدئات . وفي عهد الجراكسة ، حكام مصر والشام والحرمين ، ارتفع شأن ميناء ينبع لاستقباله الكثير من السفن التي تحمل الجرایات المقررة من حبوب للمدينة المنورة ، بالإضافة إلى لوازم الحرم الشريف وما يحتاج إليه ركب المحمول . وفي آخر عهد الجراكسة عممت الفوضى في الحجاز مما أدى إلى انقطاع سيل الحجاج مدة ، فكان أثر ذلك سيئا على الشقيقين ينبع النخل وينبع البحر . ثم عاد البناء إلى سابق عهده أبان حكم السلطان « سليمان القانوني » الذي أمر بإنشاء مخازن للحبوب ، وبتشييد جامع كبير في البلدة ، وبإصلاح البناء وتوسيعه . ثم تضعضع شأن القليم ينبع عنده في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين بضعف الدولة العثمانية ، ولم تتدوّق طعم الأزدهار ولم تهدأ بالاستقرار بعد ذلك إلا في العهد السعودى بعد أن استتب الحكم ، فادخل عليها من الاصلاحات والمساريع ما جعلها بحق مفتاح المدينة المنورة والمدينة الثانية على ساحل البحر الأحمر الشرقي بعد ميناء جدة .

وينتمي معظم سكان منطقة ينبع النخل إلى قبيلة جهينة ، والبعض إلى قبيلة حرب . أما الأكثريّة سكان مدينة ينبع البحر فهم من الأسر العربية التي انتقلت من صعيد مصر واستوطنت هذه المدينة . هذا وقد نزحت إليها مؤخرا بعض الأسر من الأشراف ونشطت ميناؤها . ويعمل معظم أهالي ينبع النخل في الزراعة وتربية النحل والمواشي . أما سكان مدينة ينبع البحر فيشتغلون بالتجارة وصيد الأسماك وصناعة القوارب الشراعية وفي الوظائف الحكومية المختلفة . ويضم وادي ينبع أربعين قرية صغيرة متقاربة ، تقوم كل منها على عين ، وهي : الجابرية ، والسكوبية ، والمزرعة ، وعين عجلان ، وعين على الحرية ، وعين على الجهينة ، والفجة ، وخيف فاضل ، والسويق ، المشهورة بسوق يوم الاثنين النشطة ، إذ يجلب إليها أهل البادية من المناطق المجاورة المואشى والسمن والعسل والفحى الخشبي والخضار والفواكه ، والمعلوم أن السوق كانت حتى وقت قريب مقر الامارة في ينبع النخل ثم أصبحت تابعة لامارة ينبع البحر . . .

## أبو دلف ٠٠ والبديع

لا ريب أن أبا دلف هذا الشيخ المقرب الحكيم ، المتعدد جوانب الشخصية ٠٠ كان ينظر إلى بديع الزمان الشاب المتوقّد ذكاء ونبوغاً وعقريّة ٠٠ نظرة الأستاذ إلى تلميذه ٠

وكان البديع يضع أبا دلف موضع الأستاذية ، ويحله من نفسه منزلة رفيعة ، ويعجب لروحه الفكهة وثقافته الواسعة ، وظرفه الذي لا حد له ، والى حلو مجلسه ، وروائع نبادره وطرائفه ، بكل تقدير وحب واعجاب ٠٠ الشعور نفسه متبدل بين الأستاذ والتلميذ، بين جيل وجيل ، بين عقريّة وعقريّة ٠

وكان البديع ينصلح الانصات العميق لرحلات أبا دلف وصور مشاهده في هذه الرحلات ، وكان كل ذلك يقع في نفسه موقع الاعجاب والاستغراب معاً ٠

ومن ثم فقد اتخد البديع أستاذه أبا دلف نموذجاً أدبياً رفيعاً للمساند العجيب لظريف العقري الأديب ، وسماه في مقاماته بأبي الفتح الاسكندرى ، ورسم له صورة رائعة من الذكاء والمعرفة والبلاغة والقدرة على امتلاك عقول الجماهير وأندوائهم معاً ٠

وجعل البديع أبا الفتح بطلاً أو قل (مهرجاً) كبيراً ، لا تفوتة فرصة ، ولا تند عنه شاردة ، ولا تغيب عن ذهنه اللماح خاطرة ، وجعله محتالاً ظريفاً ، وقصيضاً بارعاً ، وبلغياً يمنك الباب الناس وعقلهم وأندوائهم جميعاً ٠

وبلغ البديع في تصويره لأبا دلف مبلغ الاتقان والجودة وللروعه مما ٠

وكان أبو الفتح - كما صوره البديع - خبيراً باقتناص الأموال ،

وأستخراج الدرام و الدنانير ، من جيوب الأغنياء والأثرياء ، بل ومن  
الفقراء أيضا ، ببلاغته وببيانه الساحر الغريب .

ورسم آبا دلف ، أو قل آبا الفتح ، في صورة لا يستطيع أحد  
أن يرسمها ، أو أن يصور بطله في هذا النموذج البديع المذهل .

وكان أعياب الناس وحفاوتهم بهذا النموذج البطل فريدا ، فقرأوا  
مقامات البديع ، وهو شبه مسحورين ، وردوها وحفظوها ، وهم  
جده ميهورين .

ومن أين لبلوغ أن يكتب مثل هذه الروائع الفريدة ، والشوارد  
الجديدة ، ومن أين لقلم أن يخرج فرانشه في صورة دونها السحر ،  
وان كانت في ثوب النثر والشعر ؟

ولا يرجع هذا العجب العجاب إلى ظرف البديع وحده ، بل إلى  
جلال النموذج وعظمته أيضا ، فأبا دلف هذا النموذج العبرى للأدب  
المحترف السادس ، هو هو فى عظمة الصورة المرسومة ذاتها ٠٠ عبرية  
الصورة تماثلها عبرية المصور ( بكسر الواو ) و عبرية المصور ( بفتح  
الواو ) معا .

ومن ثم خلد هذا النموذج وتتوسى أصله ، وبقى النموذج  
مجهول الهوية ، يتخيّل المطالعون له أنه رسم أسطوري لشخص أسطوري .

ونحن نتعجب لمعاصرى آبى دلف والبديع ، وللأجيال التى جاءت  
من بعدهم : كيف غابت عنهم حقيقة هذا النموذج ، وتناسته ثم نسيته  
 تماما خلال ألف عام .

والتعالى فى ذكائه أعطى لنا المفتاح الذى فتحنا به باب هذا  
الكنز المجهول ، فرأيناه وراء الناس عجبا .

وليس فى وسعنا إلا أن نحمد الله أن اتضحت الصورة ، وأن كشفنا

عن أصل هذه الصورة الوحيدة الفريدة ، واد كان يفرح الانسان بكنز  
مدفون يهتدى اليه فى باطن الأرض ، فقد كان فرحا كبيرا حقا بأن  
اهتدىت الى الكشف عن أمور عجيبة كانت محجبة فى ضمير الغيب .

لقد كشفت عن شخصية أبي الفتح ، وقلت : أنه هو هو  
أبو دلف الخزرجي البينبى ، مسعر بن المهلل .

وكشفت فى الوقت نفسه عن شخصية أبي دلف وحياته بالقصيل ،  
بعد أن غابت صورته ، وغام شبحه فى ظلال النسيان .

وكشفت عن أبي دلف وأنه هو مسعر بن المهلل ، هذا الرحالة  
العجب المتعدد الثقافات والجوانب .

قل عنه : أنه أديب .

أو قل عنه : أنه شاعر .

أو قل عنه : أنه مؤلف .

أو قل عنه : أنه رحالة جوالة فى الآفاق .

أو قل عنه : طبيب حاذق بارع .

أو قل عنه : أنه جيولوجي متميز .

أو قل عنه : أنه سفير وسياسي رفيع المنزلة فى عصره .

أو قل عنه : أنه نديم الملوك والأمراء والوزراء .

قل عنه : ذلك أو قل عنه : أكثر من ذلك ، فهو كل ذلك جميما  
أو يزيد .

أبو دلف الحكيم وأبو دلف الأديب وأبو دلف الظريف ، وأبو دلف

السياسي ، صورة لعاقرية كبيرة عاشت في القرن الرابع الهجري .

وأنا أقول : إن القرن الرابع الهجري هو عصر المتنبي وأبي دلف .

انهما صورتان للعصر ، ولم ينجبا العصر أرفع منهما قدرًا في  
النزلة الأدبية .

هو عصر المتنبي وأبي دلف حقا .

انى لأحيي هذين العلمين الكبيرين الخالدين ..

ومن حظى أن أخرج هذا الكتاب عن أبي دلف ، وأن يصدر لي ولصديقي الأديب الكبير د . عبد العزيز شرف شرح جديد لديوان المتنبي .

وبالله التوفيق ..

## خاتمة الكتاب

وبعد ، فهذا أبو دلف الخزرجي بطل مقامات البديع ، رحلة مزأع  
أعظم الرحالة الجغرافيين المسلمين على امتداد التاريخ وبخاصة في  
القرن الرابع .

وعالم وطبيب وكيميائي وجيولوجي من الطراز الأول في عصره .

ومنادم في الذروة ، جلس في مجالس الملوك ينادهم ، وينادي  
الوزراء والأمراء ، وينال عندهم الحظوة والمكانة الرفيعة .

وشاعر رفيع المنزلة في عصره في الشعر ، وعلم من أعلام الشعر  
الساسني الذي كان له طرافة وروعة في عصره .

ونموذج فني رفيع للساسانية التي تتميز بالظرف وعلو الذوق  
وجمال الفكاهة ، مما حببه إلى الملوك وقربه إلى الوزراء .

وشخصية فذة اهتزت دوائر الشرق بدراسة أفكارها ونتائج  
الرحلات التي قام بها في شتى أنحاء آسيا .

ولقد كان بديع الزمان الهمذاني وثيق الصلة أبي دلف ، وواقفا  
على أخباره ، ورواية لشعره ، وفي اليتيمة ما يدل على ذلك (١) .  
وكانـت شخصية أبي دلف ملء سمع البديع وبصره ، ورحلاته وتطوافـه  
في الأرض موضع عجبه واستطرافـه، كما كانت شيخوخة أبي دلف وتجاربـه  
وحكمةـه وخبرتهـ بالحياة ، وتنقلـه بين الغنىـ والـفـقـرـ ، وحرفةـ السـاسـانـيـةـ  
وهو علمـ فيها .. كانـ ذلكـ كـلهـ مـوضـعـ تـأملـ البـديـعـ وـتعـجـبـهـ ، لـذـلـكـ فـانـ  
الـبـديـعـ حـيـنـ كـتـبـ مقـامـاتـ اـتـخـذـ منـ أـبـيـ دـلـفـ وـحـيـاتـهـ وـشـخـصـيـتـهـ بـطـلاـ  
لـلـمـقـامـاتـ الـتـىـ أـبـدـعـهـ ، وـرـمـزـ إـلـيـهـ بـأـسـمـ أـبـيـ الفـتـحـ الـاسـكـنـدـرـىـ .

---

(١) ٣٢٣ : ٣ اليتيمة .

وتقول تأكيداً لذلك : إن جميع ما صور به البديع بطل مقدمته  
أبا الفتح الاسكندرى ينطبق على أبي دلف تمام الانطباق .

فهو خطيب وبليغ وشاعر ، وهو جوالة في الآفاق ، وهو يعترف  
البسانية تظروا ودعابة وحلو فكاهة ، والعجب من قعود همته مع  
حسن آلتة ، وهو كهل قد غير أخيراً في وجهه الفقر ، وهو كما يقول  
البديع في المقامات الصيرية على لسان أبي الفتح :

« خرجت أسيح كأنى المسيح ، فجلت خراسان إلى كرمان ،  
وسجستان ، وجيلان ، إلى طبرستان : إلى عمان ، إلى السندي الهندي ،  
والنوبة والنبط ، واليمن ، والحجاز والطائف ، فجمعت من النواصر  
والأخبار والأسرار والفوائد .. ما قصر عنه فتيا الشعب .. .. وهذا  
هو أبو الفتح في أدق صورة ، وفي أوضح مثالاته .. ..

والله ولـى التوفيق ..

**المؤلف**

## المصادر والمراجع

- رجعنا في هذا البحث إلى كثير من المصادر ، التي نكتفى هنا  
بذكر بعضها :
- ١ - يتيمة الدهر للتعالى - بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -  
٤ أجزاء .
  - ٢ - معجم البلدان لياقوت طبعة مصر ١٢٢٣ هـ .
  - ٣ - مروج الذهب للمسعودي - بتحقيق محمد محيي الدين  
عبد الحميد .
  - ٤ - أخبار الزمان للمسعودي - طبعة بيروت .
  - ٥ - التنبيه والاشراف للمسعودي .
  - ٦ - مقامات بديع الزمان .
  - ٧ - مقامات الحريري .
  - ٨ - عجائب المخلوقات للقزويني بتحقيق الصيرفي والأباري .
  - ٩ - آثر البلاد للقزويني - دار صادر ١٩٦٩ .
  - ١٠ - الجماهر في معرفة الجوادر - والأثار الباقية : للبيرونى .
  - ١١ - تحقيق م لهند من مقوله للبيرونى .
  - ١٢ - مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه .
  - ١٣ - المسالك والممالك للراستخري - طبع القاهرة ١٩٩١ م .

- ١٤ - معجم الأدباء للياقوت - نشر فريد رفاعي .
- ١٥ - ديوان الصاحب .
- ١٦ - رسائل الصاحب .
- ١٧ - رسائل البديع .
- ١٨ - رسائل الصابى .
- ١٩ - البخلاء للجاحظ - بتحقيق الجارم .
- ٢٠ - الحيوان للجاحظ - بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٢١ - البيان والتبيين للجاحظ بتحقيق هارون .
- ٢٢ - المحسن والأضداد للجاحظ .
- ٢٣ - المحسن والمساوية للبيهقي .
- ٢٤ - الخراج لقدامة .
- ٢٥ - احسن التقاسيم للمقدسى .
- ٢٦ - العقد الفريد لابن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وأحمد، الزين .
- ٢٧ - الأغانى لأبي الفرج - طبع دار الكتب .
- ٢٨ - عيون الأخبار لابن قتيبة - طبعة دار الكتب .
- ٢٩ - الأخبار الطوال للدينورى - مصر ١٣٣٠ هـ .
- ٣٠ - الأمالى للقالى - طبعة دار الكتب المصرية .
- ٣١ - الامتياز والمؤانسة للتوكيدى - طبعة مكتبة الحياة بيروت .

- ٢٢ - رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون .
- ٢٣ - تاريخ الاسلام للذهبي « طبعة مصر » ستة اجزاء .
- ٢٤ - تاريخ بغداد للبغدادي - ١٤ جزءا - طبعة القدسى .
- ٢٥ - تاريخ جرجان - للسهمي - حيدر آباد ١٩٥٠ .
- ٢٦ - تاريخ أصبهان لأبى نعيم - ليدين ١٩٣١ .
- ٢٧ - تاريخ الطبرى - طبع دار المعارف بمصر .
- ٢٨ - الكامل للمبرد - طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة .
- ٢٩ - فحول الشعراء للأصمى بتحقيق المؤلف .
- ٤٠ - الصناعتين للعسكري - طبعة عيسى الحلبي .
- ٤١ - معجم ما استجم للبكرى - ٤ اجزاء - القاهرة ١٩٤١ .
- ٤٢ - تجارب الأمم لمسكوبه .
- ٤٣ - البحوث الأدبية للمؤلف - طبع دار الكتاب اللبناني .
- ٤٤ - الفهرست لابن النديم - طبعة مصر .
- ٤٥ - المكتبة الجغرافية - طبعة ليدين - ٨ مجلدات .
- ٤٦ - مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده - جزءان .
- ٤٧ - كشف الظنون ل حاجى خليفة - طبعة المعارف التركية جزءان .
- ٤٨ - نهاية الأرب للنويرى - طبع دار الكتب المصرية .
- ٤٩ - صبح الأعشى للقلقشندى - طبع دار الكتب المصرية .

- ٥٠ - النجوم الظاهرة لابن تغري بردى - دار الكتب .
- ٥١ - دائرة المعارف الاسلامية - الطبعة الانجليزية الجديدة في الحديث عن أبي دلف - والترجمة العربية - طبع مصر - في مواضع كثيرة تتصل بالبحث .
- ٥٢ - مقدمة ابن خلدون - المكتبة التجارية .
- ٥٣ - الجغرافيون العرب لصبرى محمد حسن - طبع النجف .
- ٥٤ - الجغرافيا والرحلات عند العرب - نقولا زياده .
- ٥٥ - اعلام التاريخ والجغرافيا - المنجد - طبع بيروت .
- ٥٦ - شمس العرب تسطع على الغرب لهونكة - طبع بيروت .
- ٥٧ - العرب والملاحة في المحيط الهندي - حورانى .
- ٥٨ - حديث السندياد القديم - حسين فوزى .
- ٥٩ - ابن فارس للأستاذ هلال ناجي - بغداد .
- ٦٠ - المجلة الجغرافية - مصر .
- ٦١ - تاريخ التمدن الاسلامي لمزيدان .
- ٦٢ - الرواد نشر المقططف .
- ٦٣ - الرحالة العرب - نقولا زياده .
- ٦٤ - الرحالة المسلمين في العصور الوسطى - زكي محمد حسن .
- ٦٥ - الرحلات - دار المعارف - بقلم د. بشوقي ضيف .
- ٦٦ - الجغرافيا عند العرب : يسن الحموي .

- ٦٧ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي - كراتشوفسكي - نشر الجامعة العربية .
- ٦٨ - جهود المسلمين في الجغرافيا - نفيض أحمد - القاهرة .
- ٦٩ - الحياة الأدبية في الأندلس والعصر العباسي الثاني - المؤلف .
- ٧٠ - ابن المعز - المؤلف ١٠٥٨ القاهرة .
- ٧١ - أبو عثمان الجاحظ - المؤلف ١٩٦٣ القاهرة .
- ٧٢ - مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته مازن المبارك .
- ٧٣ - بلاد ينبع للعلامة حمد الجاسر - دار اليمامة بالرياض .
- ٧٤ - بديع الزمان للشكعة - نشر دار الفكر العربي بالقاهرة .
- ٧٥ - بديع الزمان لـ سارون عبود .
- ٧٦ - الكامل لابن الأثير - المنيرية ١٣٥٧ هـ .
- ٧٧ - تاريخ العقوبي - بيروت - دار صادر ١٩٦٠ .
- ٧٨ - المقامات لشوقى خليف .
- ٧٩ - الحياة الأدبية في العصر العباسي - المؤلف .
- ٨٠ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .
- ٨١ - تاريخ أداب اللغة العربية - لزيدان .
- ٨٢ - تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان .
- ٨٣ - ديوان صفى الدين الحلبي .
- ٨٤ - ديوان الشريف الرضي .

- ٨٥ - الرسالة الثانية لأبي دلف .
- ٨٦ - الأعلام للزركلى - القاهرة - ١٩٥٧ .
- ٨٧ - تاريخ خليفة بن خياط - النجف .
- ٨٨ - وفيات الأعيان لابن خلكان - ٣ جزاء .
- ٨٩ - مجلة قافلة الزيت عدد المحرم ١٢٩١ هـ - مارس ١٩٧١ - مقال عن ينبع .

إلى غير ذلك من المراجع التي أشرنا إليها في ماضي الكتاب  
والى غير ذلك من المراجع التي رجعنا إليها ولم تستفد منها كثيراً في  
كتابه هذا البحث .

وبالله التوفيق ..

## فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	تصدير
٢٠ - ٧	الباب الأول : فن المقامة
٩	الفصل الأول : فن المقامة في أدبنا
٢١	الفصل الثاني : رائد فن المقامة
٣١	الفصل الثالث : ابن دريد ليس المبتكر لفن المقامة
١٣٠ - ٥٣	الباب الثاني : شخصية أبي الفتح
٥٥	الفصل الأول : أبو الفتح ليس شخصية أسطورية
٦٥	الفصل الثاني : الصاحب وأبو دلف
٨٧	الفصل الثالث : أبو دلف في زحام الحياة
١٠٩	الفصل الرابع : أبو دلف في كتابات الباحثين
١١٥	الفصل الخامس : في ظلال السامانيين
١٢١	الفصل السادس : في ظلال البوهيميين
١٢١	وفاة أبي دلف
١٥٠ - ١٢١	الباب الثالث : رحلات أبي دلف
١٣٣	الفصل الأول : الرحلات قبل أبي دلف
١٣٧	الفصل الثاني : جهود أبي دلف في ميدان الرحلات

الصفحة	الموضوع
١٥١	الباب الرابع : أبو دلف الأديب
١٥٣	الفصل الأول : أبو دلف كاتبا
١٥٥	الفصل الثاني : أبو دلف شاعرا
١٦٧	الفصل الثالث : أبو دلف نموذجاً أدبياً في مقامات البديع
١٧٥	ملحق : ينبع موطن أبي دلف
١٧٨	أبو دلف والبديع
١٨٢	خاتمة الكتاب
١٨٤	المصادر والمراجع
١٩٠ - ١٩١	الفهرست



## صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية

- ١ - مدارس الشعر الحديث - د. محمد عبد المنعم خفاجي - ١٩٩٢
- ٢ - صور من الأدب الحديث - ٤ أجزاء - للمؤلف نفسه - ١٩٥٥
- ٣ - روائع الشعر العربي بين الأصالة والتجديد - للمؤلف نفسه - ١٩٨٧
- ٤ - كيف تكتب بحثاً جامعياً؟ - للدكتورين عبد العزيز شرف وخفاجي - ١٩٨٦
- ٥ - النحو لرجال الاعلام - للدكتورين عبد العزيز شرف وخفاجي - ١٩٨٨
- ٦ - الفن الأدبي - للناقد الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرني - ١٩٦٠
- ٧ - العقاد صحفيًا وأديبًا للدكتورين شرف وخفاجي - ١٩٩٠
- ٨ - موقف النقاد من الشعر الجاهلي : محمد عبد المنعم خفاجي - ١٩٩١

### صدر حديثاً للمؤلف

مدارس النقد الأدبي الحديث

---

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٢٤ لسنة ١٩٩٦  
الترقيم الدولي ٧ - ١٤٣٥ - ٥٧ - ٩٧٧

---

مطبعة  
أبناء وهبة حسان  
٢٤١ (١) ش الجيش - القاهرة  
ت : ٩٢٥٥٤٠

